الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة السادسة والثلاثون
ذو الحجة ١٤٤٢ هـ - تموز ٢٠٢١م

العدد
٤١٩

القوى الدافعة لدى الأمم والقوة الدافعة في الإسلام ص٢٥

بالخِلافة وحدها يُقام الدين ويُجمع شمل الأمة وتُحمي الأعراض والمقدسات ويُقطع دابر الظلم والظالمين ص١٧

مقتطفات من سيرة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) ص٤٣

جامعية – فكرية – ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- كلمة الوعي: الأزمة في لبنان... والحقيقة الضائعة فيه ٣
- أمريكا تقود انحدار الغرب وهي فرصة يجب على المسلمين الاستفادة منها (٢) ٧
- بالخِلافة وحدها يُقام الدين ويُجمع شمل الأمة وتُحمي الأعراض والمقدسات ويُقطع دابر الظلم والظالمين (١) ١٧
- القوى الدافعة لدى الأمم والقوة الدافعة في الإسلام ٢٥
- تخلف المسلمون عن الصدارة بعد هدم دولة الخلافة ٣٠
- أخبار المسلمين في العالم ٣٤
- مع القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ...﴾ ٣٨
- رياض الجنة: التخفيف على المسلمين فيما شرع لهم (١) ٤١
- حدائق ذات بهجة: مقتطفات من سيرة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) ٤٣
- فبهداهم اقتده: تميم الداري رضي الله عنه ٤٨
- كلمة أخيرة: السعودية تسمح بفتح المحلات التجارية أوقات الصلاة. ٥١
- غلاف أخير: استخدمت وكالة الأمن القومي الأمريكية الدانمارك للتجسس على القادة الأوروبيين؟ ٥٢

العدد
٤١٩
السنة السادسة والثلاثون
ذو الحجة ١٤٤٢هـ
تموز ٢٠٢١م

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

الأزمة الكيانية في لبنان... والحقيقة الضائعة فيه

يعيش أهل لبنان اليوم أزمة لم تمرَّ عليهم مثلها في تاريخهم الحديث (ما بعد الاستقلال المزعوم)، فمن هو مسبِّب هذه الأزمة؟ هل هم هؤلاء الحكام الذين يبلعون كل مقدراته على حساب شعبه، أم هو النظام الديمقراطي التوافقي الطوائفي الذي يُحكم به؟ أم هو التدخل الخارجي الغربي الرأسمالي الاستعماري المستتر الذي يتحكَّم بمفاصل الحياة السياسية الداخلية والخارجية فيه؟ أم هم هؤلاء الثلاثة مجتمعين؟ وإذا كانوا كذلك، فأيهم هو العامل المؤثر الأكبر المتحكِّم في صنع أزمته؟

ولمعرفة المسبِّب الحقيقي لأزمته، وبالتالي معرفة معالجتها، لا بدَّ من معرفة كيف تُحكم دول المنطقة، وممن تُحكم، فلبنان جزء منها، ولا يختلف عنها، فالمنطقة منطقة واحدة من مختلف الزوايا: العقدية والسياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية.

لقد أنشئ لبنان، هو وغيره (سوريا والعراق والأردن وفلسطين...) بعدما سُلخ من جسم دولة الخلافة العثمانية بعد انهزامها في الحرب العالمية الأولى على يد الفرنسيين والإنكليز، أعداء الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية على الدوام، فبعد أن كان لبنان جزءًا من دولة فيها كل مقوِّمات الدول ومقدِّرات الحياة، قامت فيه، كغيره من الدول المستحدثة، دولةٌ منزوعة السيادة منقوصة المقدِّرات، وجعلت له فرنسا، راعية استعماره واستثماره واستحماره،دستورًا علمانيًا، ونظامًا طوائفيًا،ونصبت عليه حكامًا ليكونوا أذنابًا ينفذون لها سياساتها، ونواطير يؤمنون لها مصالحها المختلفة، وأدوات صراع داخلي وخارجي بينها وبين منافسيها من دول الاستعمار الأخرى. مثلهم مثل حكام دول المنطقة المستحدثة التي عايشتهم الأمة على مدى القرن الفائت، وأصابها منهم الويلات، ولايختلف أحد من الناس على عمالتهم وسوئهم، وإنما يختلفون على الجهة التي هم عملاء لها: هل هم تابعون لأمريكا، أم لفرنسا، أم لبريطانيا...

وهذا الواقع يضعنا أمام حقيقتين ثابتتين تواكبان استعمار الغرب للمنطقة: أولاها أن بلاد المسلمين، ومنها لبنان، مستعمَرة وواقعة تحت نفوذ الدول الغربية الرأسمالية المتصارعة فيما بينها دائمًا على المصالح، وثانيها أن سفارات الدول الاستعمارية، هي التي تدير البلاد من وراء ستار، وتضبط تصرفات وقرارات حكامها بسياسة دولها المرسومة لها؛ فهي المتحكِّمة، وهي التي تأمر وتنهى فيه، وهي التي تتابع تنفيذ سياسة دولتها في هذا البلد، وهي التي تدير سياساته كما تدير أزماته...

وإذا عدنا إلى الأزمة الكيانية التي تُلمُّ بدولة لبنان فإننا سنجد حكامًا بلغ السوء فيهم مبلغه، وأصبحوا أقبح من عاهرة تدَّعي الشرف. وهم لم يرعَووا عن السير وراء مصالحهم الشخصية ولو

عارضت حتى قواعدهم الشعبية. وهم الذين يسرقون ثروات البلد ويثرَوْن على حساب شعوبهم، ففي الوقت التي يقع فيه البلد بأزمة مديونية خانقة نرى أرصدتهم متخمة في البنوك الأجنبية وبحسابات مشفَّرة. ونراهم ما زالوا يخططون للبقاء في الحكم والفوز بالمناصب على حساب منافسيهم الذي هم على شاكلتهم بالرغم من تبرُّم الناس الشديد منهم... والقول الكثير في مدى سوئهم يبقى قليلًا أمام ما هم عليه...

ولكن هؤلاء الحكام، فإن دول الغرب تسيطر على تصرفاتهم وتمنعهم منها إذا ما تعارضت مع مصالحها، وتلزمهم باتخاذ المواقف المناسبة لمصلحتها تحديدًا، عن طريق سفاراتها كما قلنا. وفي لبنان فإن السفارة الأمريكية هي المسيطرة، والسياسة الأمريكية هي المهيمنة، وكل ما يجري في لبنان تحت سيطرتها وبإشرافها، وتسير بحسب خطة لها وضعتها للمنطقة ككل، ولبنان جزء منها، وله نصيبه منها؛ لذلك نقول بأن ما يجري اليوم في لبنان هو جزء من مخطط أمريكي متعلق بالمنطقة ككل وليس بلبنان خاصة، يعمل على تقسيم المنطقة من جديد وفق معايير تمنع وحدتها وتبعد الإسلام بقوة عن الحكم عن طريق فرض دساتير علمانية، وتسليم الحكم إلى عملاء جدد لها من منظمات المجتمع المدني ومن غيرهم، وإبعاد المسلمين عن المطالبة باستئناف الحياة الإسلامية، ومحاربة الحركات والأحزاب السياسية الإسلامية التي تعمل لإقامة دولة الخلافة من جديد. بالإضافة إلى وضع يدها على ثرواته ومقدراته؛ من هنا فإن ما يجري في لبنان يجري مثله في سوريا، وكذلك في العراق، وفي ليبيا، وفي اليمن... والطبخة الأمريكية لمستقبل لبنان لن تستوي حتى يتأمن لها تنفيذ خطتها في المنطقة ككل.

هذه هي الحقيقة الضائعة في الأزمة اللبنانية التي يغفل عنها المتحدثون بالشأن اللبناني أو يتحاشونه خوفًا... وبسبب ضياعها يقف الناس والإعلاميون والسياسيون المضلِّلون مواقف أقل ما يقال فيها إنها تمكن لأمريكا بدل أن تستأصل نفوذها. ومن ذلك:

- هذه الحقيقة الضائعة في الأزمة اللبنانية تجعل من مسؤولي لبنان وإعلامييه وأصحاب الرأي السياسي فيه يرجون من أمريكا التدخل لحل الأزمة ويقصدون بذلك أن يضغطوا على عون أو الحريري أو غيرهم... ويطلبون منهم مد يد المساعدة لهم ظنًا منهم أنها بعيدة عن صنع أزمته بينما هي العكس... ويطلبون منها الخلاص حين يطلبون برجاء مذل من أمريكا أن تسمح للبنك الدولي أن يقرض لبنان. ومعلوم أن في هذا الطلب قمة الخيانة وأسر لبنان في سجن القروض التي لا خروج منها إلا مخنوقًا منتوفًا. فمن منا لا يعرف البنك الدولي والسياسة الاستعمارية التي تقف خلفه، وأنه من أهم أدوات الاستعمار الأمريكي؟!.

- يظن الناس والمحلِّلون السياسيون أن زعماء البلد هم وراء أزمته، ووراء تعقيدها. والحقيقة أنه لا الحريري، ولا عون، ولا بري، ولا القوات اللبنانية، ولا جنبلاط، ولا أي طرف سياسي محلي

آخر أو إقليمي من مثل إيران أو السعودية أوتركيا أو قطر أو العراق... يستطيع أن يقرر شيئًا مما يجري في لبنان بعيدًا عن التوجهات الأمريكية لسياستها في لبنان... فما هؤلاء إلا مجرد أدوات وبيادق في لعبة شطرنج السياسة الدولية في المنطقة، وخاصة الأمريكية. فإذا لم يستطع الحريري تأليف وزارة فلأن أمريكا لم ترد ذلك، وإذا سمحت لعون بأن يقف وراء دفع الحريري إلى الاعتذار عن تأليف الحكومة فلأن ذلك يناسب سياستها ومصلحتها، وإذا تشكَّلت حكومة برئاسة نجيب الميقاتي أو غيره أو لم تتشكل... فكل ذلك تديره أمريكا بحسب أجندتها. وإذا كان حزب إيران يمسك بخيوط اللعبة السياسية فيه ويتحكم في مفاصلها تحت تهديد سلاحه فلأنه تابع في سياسته لإيران التي هي من دول المنطقة التي تخضع للسياسة والنفوذ الأمريكي... فالسياسة الأمريكية هي الفاعلة في لبنان ولا يوجد فيه صراع دولي ذو أهمية تذكر.

- وبسبب ضياع هذه الحقيقة، يقف الناس والإعلاميون والمحللون السياسيون وأصحاب الرأي فيه مواقف مضلِّلة، ومنها موقفهم من منظمات المجتمع المدني واعتبارها أنها ستكون الأدوات الجديدة الصالحة للحكم، وأن الخلاص سيأتي عن طريقهم؛ بينما باتت منظمات المجتمع المدني العلمانية تدخل في صلب سياسة الغرب الاستعمارية الجديدة للمنطقة ككل، ومنها لبنان، وستكون هي الأدوات الجديدة لحكم المنطقة وإبعاد الإسلام عن الحكم. حتى إن السفارة الفرنسية تنافس السفارة الأمريكية في هذا الموضوع، وإننا لنرى كيف يجتمع السفراء والموفدون الدوليون برموز وشخصيات هذه المنظمات باعتبار أنهم سيكونون من الحكام الجدد، وأنهم روَّاد التغيير، وأصبحت التهمة الموجّهة إليهم من قبل السياسيين التقليديين أنهم (صبيان السفارات)

- ومن مظاهر أن أمريكا هي التي صنعت الأزمة اللبنانية وتتحكم بها أن أزمته المالية يقف وراءها السياسة المالية التي اتبعها البنك المركزي اللبناني، ويعتبر حاكمه رياض سلامة خطًا أحمر لدى أمريكا لا يسمح لأحد من المسؤولين السياسيين أن يمسَّ موقعه؛ ومعلوم أن سياسته المالية التي اتبعها هي التي أوصلت لبنان إلى القعر وبالتالي خدمت أمريكا.

- ومن مظاهر أن أمريكا تمسك بالوضع اللبناني وأزمته أنها تتبنى قائد الجيش، ويظهر أنه مرشحها الرئاسي بعد ميشال عون وتدعمه وتدعم الجيش بالسلاح وقد تمده أو تسمح بمده بالمال لمعالجة أزمة أفراده المعيشية.

- ومن مظاهر أن أمريكا هي التي تدير أزمة لبنان وتمنع حلها أو مساعدته جزئيًا أو مرحليًا هو منع دول الخليج من السعودية إلى الإمارات إلى قطر من مد يد المساعدة المالية إليه ولو في القليل الذي يخفف من وطأة أزمته المالية، وبالتالي تتركه من غير دعم، لا في الدواء ولا الغذاء ولا النفط... بل هي على العكس تسمح لتجار المال أن يلعبوا بأسعار عملته حتى لا يبقى له متنفس.

- ومن مظاهر تحكُّم أمريكا في أزمة لبنان وإدارتها أنها تمنع القيام بأعمال جدية لاستخراج النفط من البلوكات المقابلة لسواحله، والتي تضم كميات ضخمة واعدة من النفط كافية لحل مشاكله المالية في أشهر أو سنوات قليلة...

- ومن مظاهر اتخاذ هذه الصورة المأساوية للأزمة المالية والاقتصادية والمعيشية في لبنان هو العمل على تأخير دوره في المنطقة لمصلحة تقديم دور (إسرائيل) بعد فرض الصلح على المنطقة معها، وهذا يقتضي تدمير المجالات الحيوية المنافسة لـ(إسرائيل) من مثل المرفأ والمصارف والسياحة...

وفي الخلاصة فإن دول المنطقة تخضع اليوم لمخطط أمريكي هو قيد التنفيذ، ومن ضمنها لبنان. وهي تسعى لصياغة كل دولة من دول المنطقة صياغة طائفية عنصرية مذهبية ليبقى في مقدورها اللعب على حبل الأقليات، وتسعير الخلافات بينها، والتدخل لحمايتها... وهي تسعى في الوقت نفسه لحل القضية الفلسطينية والاعتراف بـ(إسرائيل) وإدخالها في نسيج دول المنطقة.

وإنه إذا كنا نرى للسفارة الفرنسية تحركات وللمسؤولين الفرنسيين زيارات فإنما هي محاولة من فرنسا لأن يكون لها موطئ قدم في السياسة اللبنانية، ويبدو أنها تبحث عن عز مفقود لها فيه، وظاهر أن مثل هذه التحركات الفرنسية تقوم أمريكا بمرافقتها وبإجهاضها في مهدها، فلا زيارات رئيس الدولة الفرنسية ولا وزير خارجيتها ولا مبعوثيها أفادت بشيء... فأمريكا تسير بهدوء نحو تحقيق أجندتها في المنطقة غير سائلة عن غير مصلحتها...

هذه هي قصة الاستعمار المأساوية التي لا تنتهي فصولها ليس في لبنان فحسب بل في كل بلاد المسلمين، بل في كل دول العالم المستعمَرة. والذي نريد أن نقوله: إن أمريكا لن تستطيع الحل مهما فعلت لأن مئة سنة مضت من الاستعمار وغسل الأدمغة وتضليل الشعوب وإفساد أذواقهم وإفقارهم وتجهيلهم واللعب على قضاياهم وتقسيم بلادهم وتفريق شعوبهم... لم تستطع أن تنال منهم بنائلة... ومن ينظر إلى أمريكا اليوم، والتي تفكر باستعمار جديد للمنطقة يدوم مئة سنة أخرى، هي مليئة بالمشاكل التي تقرِّبها من أجلها، وبالتالي فهي لن تدوم... ومن ينظر إلى الحضارة الغربية يرَ أنها أفلست، وهي بانتظار إعلان وفاتها مع نعي سيئ لها... ومن ينظر إلى الشعوب الغربية يرَ أن مجتمعاتها قد شاخت، وليست مستعدة للدفاع عن حضارتها، فضلًا عن الموت في سبيل بقائها، فضلًا عن نشرها... ومن ينظر في المقابل لأحقية هذا الدين وحيويته وإيمان أهله به، وعودتهم إليه بقوة... ليستبشر بخير ما بشر به رسول الله ﷺ بأنه في آخر هذا الزمان ستقوم قائمة الإسلام: **خلافة راشدة على منهاج النبوة**، فلا تُبقي الأرض من خيرها إلا أخرجته، ولا السماء من خيرها إلا أنزلته، يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض... فلمثل هذا فليعمل العاملون. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

أمريكا تقود انحدار الغرب وهي فرصة يجب على المسلمين الاستفادة منها (٢)

بقلم عبد المجيد بهاتي

لقد كتب الكثيرون عن تقهقر الغرب على مر السنين، لكن الموضوع لم يُؤخذ على محمل الجد، وفي بعض الحالات تم إنكاره من علماء غربيين بارزين مثل روبرت كاغان في كتابه «العالم الذي صنعته أمريكا»، ومع ذلك، فقد كانت أزمة كوفيد-١٩ الحالية دفعة جديدة لتحريك هذا النقاش، ففيروس كورونا أصاب قلب الحضارة الغربية ليكشف عن عيوب بنيوية عميقة - في المجتمعات الغربية والنظام الدولي الذي يترأسونه - وهدّد نفوذ الهيمنة الغربية على العالم، وقد طرح كاتب العمود الشهير سيمون تيسدال في صحيفة الأوبزيرفر السؤال التالي حول أزمة كوفيد-١٩: «هل هذه واحدة من تلك المنعطفات التاريخية التي يتغيّر فيها العالم بشكل دائم؛ حيث يتغيّر ميزان القوى السياسية والاقتصادية بشكل حاسم؟».

مواجهة الانكماش الاقتصادي

لقد كان أداء الاقتصاد الأمريكي أفضل من أداء نظامه السياسي، ويعدّ الاقتصاد الأمريكي هو الأكبر في العالم من حيث الناتج المحلي الإجمالي؛ حيث يبلغ ٢١,٤ تريليون دولار، وتتمتَّع أمريكا بأكبر حصة من الاقتصاد العالمي بنسبة ٢٥٪[٢٤]، والدولار الأمريكي هو العملة الاحتياطية بلا منازع في العالم، ويستخدم على نطاق واسع لتسوية المعاملات، أكثر من أي عملة أخرى، والشركات الأمريكية تهيمن على قائمة أفضل ٢٠ شركة [٢٥]، والفرد الأمريكي هو الأعلى دخلًا بين دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية[٢٥]، وعلى الرغم من هذه الهيمنة الاقتصادية، فقد تقلّصت القوة الاقتصادية الأمريكية على مرِّ السنين.

في عام ١٩٦٠م، بلغت حصة أمريكا من الاقتصاد العالمي ٤٠٪، وعلى مر السنين، ومع سعي المزيد من الدول لتبوُّء المكانة الاقتصادية العالمية، انخفض الاقتصاد الأمريكي إلى نصف هذا الحد تقريبًا[٢٧]؛ لكنه لا يزال قويًا بسبب نظام الدولار، بالرغم من معاناته من تدهور ملحوظ في القوة الشرائية بسبب الآثار التراكمية للتضخم. كان الدولار الواحد في عام ١٩٦٠م يعادل في القوة الشرائية حوالى ٨,٨٤ دولار اليوم، بزيادة قدرها ٧,٨٤ دولار على مدى ٦١ عامًا، ووفقًا لمكتب إحصاءات العمل، فإن أسعار اليوم أعلى بنسبة ٨٨٤٪ من متوسط الأسعار في عام ١٩٦٠م[٢٨]، ومن المتوقع أن تنخفض القوة الشرائية للدولار أكثر مع بدء خطة بايدن التحفيزية البالغة ١,٩ تريليون دولار. لم تعد الشركات الـ٥٠٠ فاحشة الثراء تعكس هيمنة الشركات الأمريكية في العالم، ففي عام ٢٠٢٠م تم تقاسم الشركات الـ٥٠٠ بوسط ١٣٣ شركة صينية مقابل ١٢١ شركة أمريكية، وكانت شركتان أمريكيتان وصلتا إلى مستوى أعلى ١٠ شركات[٢٩]. أخيرًا، فإن تركيز

الثروة في أيدي قلة في أمريكا يثير شكوكًا جديدة حول صحة المؤشرات التي تقيس دخل الأسرة الأمريكية، ولأول مرة وصل متوسط دخل الأسرة الأمريكية إلى ٦٣,٠٠٠ دولار في عام ٢٠١٩م؛ ولكن بعد التعديل وفقًا للتضخم، توقف عند حد ١٩٩٩ دولار فقط[٣٠]. و في الوقت نفسه أثرى أغنى ١٪ في أمريكا أنفسهم بشكل كبير من خلال كسب ٥٠ تريليون دولار من ٩٠٪[٣١]، وإذا استمرت مثل هذه الاتجاهات - وخاصة اغتصاب الثروة من قبل الرأسماليين الأمريكيين من فاحشي الثراء - فإ ن القوة الاقتصادية الأمريكية ستصير أقل مصداقية وفعالية، وستنتج اضطرابات محلية كما قال ابن خلدون و(ترشين).

تزايد تكاليف الحفاظ على جيش ضخم

على الرغم من وجود ٨٠٠ قاعدة عسكرية في ٧٠ دولة وإقليمًا، والإنفاق العسكري السنوي البالغ ٧٣٤ مليار دولار، أي ما يقرب من ثلاثة أضعاف ما هو عليه من أقرب منافسيها (الصين)، فإن القوة العسكرية الأمريكية تتلاشى[٣٢،٣٣]. وفي عام ٢٠١٠م، رفض البنتاغون رسميًا خوض حربين متزامنتين في مسارين مختلفين للعمليات العسكرية عن مذهبه الحربي. وفي عام ٢٠١٠م، لم يعد تقرير الدفاع الرباعي ينظر إلى «متطلبات الحربين كعامل أساسي في تحديد تكوين القوة»[٣٤]، كما تضاءلت الميزة العسكرية الأمريكية التي امتدت لعقود على الدول الأخرى، فضلًا عن قدرتها على ردع الأعداء وهزيمتهم. وفي عام ٢٠١٨م، أشارت لجنة مستقلة مكونة من الحزبين حول استراتيجية الدفاع الأمريكية إلى أن «المزايا العسكرية الأمريكية طويلة الأمد قد تضاءلت» وأن «هناك شكوكًا حول قدرة أمريكا على الردع - إذا لزم الأمر - لهزيمة الخصوم والوفاء بالتزاماتها العالمية»[٣٥]. هناك تعقيد إضافي يتمثل في قدرة أمريكا على جذب مجنَّدين جدد، فقد انخفض الاهتمام بين الشباب للخدمة في الجيش الأمريكي إلى أدنى مستوى له على الإطلاق، وقد أصبح الوضع سيئًا لدرجة أنه لمجرد دعم القوات البرية الأمريكية (الجيش) وسلاح مشاة البحرية، فقد لجأت هاتان إلى زيادة الرواتب وخطط المكافآت غير العادية لجذب الشباب[٣٦]، وليس هناك شك في أن الأداء العسكري السيئ لأمريكا في أفغانستان والعراق ساهم في تراجع القوة العسكرية الأمريكية. إذا استمرت هذه العوامل، فإن الحرب مع دول ليست صغيرة (مثل روسيا والصين) ستكون اختبارًا قاسيًا للقوة العسكرية الأمريكية، مما لا يرجح النصر. مع ذلك، فإن التهديد الأكثر إلحاحًا ينبع من التكاليف الاقتصادية والسياسية المطلوبة للحفاظ على الاشتباكات العسكرية الخارجية كما أوضح كينيدي، ومن المتوقع أن يؤدي الخلل السياسي في الداخل إلى جانب تراجع النفوذ الاقتصادي إلى إضعاف الالتزامات العسكرية الأمريكية في الخارج.

شجّعت إخفاقات أمريكا بروز بعض القوى العظمى وتسبَّبت في صعود أخرى

من الواضح أن أمريكا تواجه انخفاضًا نسبيًّا متفاقمًا في القوة الاقتصادية والعسكرية

بسبب نظامها السياسي المنهار، وقد أثَّر هذا أيضًا على قدرة أمريكا على إقناع أوروبا في القضايا الرئيسية، وتثبيط دول مثل روسيا والصين. كانت العلاقة عبر الأطلسي هي حجر الزاوية للنظام السياسي الأمريكي منذ سنوات ما بعد الحرب، وقد قطعت أوروبا عن طيب خاطر موقف أمريكا بشأن عدد كبير من القضايا، وقدّمت الدعم للإجراءات الأمريكية عند الضرورة، مع ذلك، فإنه بعد زوال الاتحاد السوفياتي، ظهرت الخلافات بين الشركاء عبر الأطلسي حول عدد من القضايا المهمة مثل اتجاه توسع الاتحاد الأوروبي، ومهمة الناتو الجديدة، وزيادة الأحادية الأمريكية في الشؤون الدولية، والسياسات تجاه الجنوب العالمي، وما إلى ذلك، وزادت الحروب المختارة ضد أفغانستان والعراق من خيبة الأمل المتأجِّجة لدى الأوروبيين تجاه أمريكا. وفي عام ٢٠٠٣م، أعرب دومينيك مويسي نائب مدير المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية ومقرُّه باريس، عن أن «ما نشهده هو ظهور غربين، غرب أمريكي وغرب أوروبي، بحساسيات مختلفة ومشاعر مختلفة»[٣٧]، وأدّت الأزمات المالية العالمية إلى أزمة منطقة اليورو، وأزمات الديون اليونانية، وحروب العملة، والخلافات حول التقشُّف مقابل التحفيز النقدي؛ ما أدى إلى تفاقم العلاقات بين الاثنين، كما أدَّى الربيع العربي وأزمة اللاجئين السوريين إلى تآكل الثقة في العلاقات عبر الأطلسي.

لكن لم تصل العلاقات إلى أدنى مستوياتها على الإطلاق إلا بعد صعود ترامب، فقد سبَّب إصرار ترامب على زيادة أوروبا لحصتها من العبء المالي لحلف الناتو وعدم التزامه بالمادة رقم ٥ من المنظمة، سبَّب انتقادات حادة من الحلفاء. وفي حديثها عن رفض ترامب إعادة تأكيد تعهد أمريكا بحماية أوروبا، قالت المستشارة ميركل: «إن الفرص التي يمكننا فيها الاعتماد بشكل كامل على الآخرين في طريقها للنفاد... يتعيَّن علينا نحن الأوروبيين أن نهتم بمصيرنا بأيدينا»[٣٨]، وقد واصل ترامب دون توجُّس خطابه ضد أوروبا، ودعم علانية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وتفكك الاتحاد الأوروبي، ووبَّخ ماكرون لاقتراحه أن أوروبا بحاجة إلى جيش للدفاع عن نفسها من أمريكا، وأشعل فتيل حرب تجارية [٣٩]، وردَّت أوروبا على ذلك بتجاهل الولايات المتحدة والتزمت بتوقيع اتفاق تجاري شامل مع الصين، وهي تعلم جيدًا أن ترامب كان على وشك الخروج من البيت الأبيض. جعلت العلاقة عبر الأطلسي المتضرِّرة بشدة من التعاون إشكالية كبيرة، وهي نقطة أكدَّها داليو. في أول لقاء علني لهم، ذكّر ماكرون و(ميركل - بايدن) أن التحالف الفرنسي الألماني سيحمي استقلالية أوروبا ومصالحها، وشدَّد ماكرون في الاجتماع على «الاستقلال الاستراتيجي» عن الولايات المتحدة، في حين دافعت ميركل عن الاتفاقية التجارية التي تمَّ التوصُّل إليها مع الصين قائلة «إن مصالحنا لن تتقارب دائمًا»[٤٠]، والتفاؤلُ بأن العلاقات بين القارة الأوروبية وأمريكا سوف تتحسن في وقتٍ قريبٍ ضعيفٌ.

كما تراجعت علاقة أمريكا مع روسيا إلى

مستوى متدنٍّ جديد، لم نشهده منذ الفترة الأولى من الحرب الباردة، وبعد مواجهة عدد من العقبات على مرِّ السنين وعدم التكافؤ في القوة، لم يردع روسيا عن تحدِّي هيمنة أمريكا ودفع نفوذ أمريكا إلى الوراء في القوقاز وأوكرانيا وآسيا الوسطى. ففي عام ٢٠٠٨م، غزت روسيا جورجيا واحتلت أوسيتيا الجنوبية. وفي عام ٢٠١٤م، ضمَّت شبه جزيرة القرم وشنَّت حربًا في أوكرانيا لإنشاء مجال لنفوذها في الجزء الشرقي من البلاد، وتمكَّنت روسيا من تحقيق ذلك، بينما كانت تواجه عقوبات صارمة من الغرب. وفي آسيا الوسطى نجحت روسيا في تقليص النفوذ الأمريكي في أوزبيكستان وقرغيزستان. وكتب وزير الدفاع الأمريكي السابق روبرت غيتس في صحيفة وول ستريت جورنال عن صعود روسيا الجديد، فقال: «نريد لروسيا أن تكون شريكًا، لكن من الواضح أن هذا غير ممكن الآن تحت قيادة السيد بوتين، الذي فرض تحدِّيًا في شبه جزيرة القرم أو حتى أوكرانيا، وأفعاله هذه تتحدَّى نظام ما بعد الحرب الباردة بأكمله»[٤١]، في المقابل أزعجت روسيا الغرب من خلال قطع إمدادات الغاز عن أوروبا خلال أشهر الشتاء القاسية، والاغتيالات الوقحة على الأراضي الأجنبية، والتدخل في الانتخابات الأمريكية والأوروبية. لقد كشف عرض روسيا للأسلحة السيبرانية المتطوِّرة والمعدَّات العسكرية المتطوِّرة في الصراع السوري وفي أماكن أخرى لصانعي السياسة الأمريكية أن روسيا لديها ميلٌ لتحدِّي الهيمنة الأمريكية في مناطق محددة.

السؤال هو: كيف سمحت أمريكا بحدوث ذلك؟ يمكن القول إن أمريكا في التسعينات كانت في ذروة قوتها الاقتصادية والعسكرية، وتتمتع بالتفوُّق العالمي باعتبارها القوة العظمى الوحيدة في العالم، بينما كانت روسيا في وسط أزمة اقتصادية وسياسية عميقة، ولم تكن روسيا - التي تعاني من نزيف بسبب قروض صندوق النقد الدولي - في وضع يمكِّنها من وقف توسع الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي في أوروبا الشرقية السابقة، كما لم يستطع الكرملين منع أمريكا من إزاحة النفوذ الروسي في البلقان، وفقدان غواصة كورسك (K-١٤١) في بحر بارنتس في عام ٢٠٠٠م وعدم قدرة الكرملين على إنقاذ الطاقم، قد لخَّصت المدى الذي تراجعت فيه روسيا عن وضعها كقوة عظمى[٤٢]. مع ذلك، فإنه في غضون عقدين من الزمن، تمكَّنت روسيا رغم شيخوخة سكانها واقتصادها الضعيف من إعادة تأكيد نفسها وتحدِّي أمريكا، وسهَّل الصعود الضيق - القوة العسكرية فقط - لروسيا انشغال الولايات المتحدة بالحروب الكارثية في أفغانستان والعراق، وكذلك الأزمة المالية العالمية، فلم تكن أمريكا قادرة على مواجهة العدوانية الروسية في مناطق معيَّنة من العالم. من المؤكد أن روسيا لا تستطيع أن تنازع القيادة العالمية لأمريكا؛ لكنها تستطيع بالتأكيد أن تعطِّل الخطط الأمريكية وتتخلَّص من الهيمنة المطلقة لأمريكا على أوراسيا.

كما أن جهود الولايات المتحدة لاحتواء صعود الصين في منطقة آسيا والمحيط الهادئ

هي موضع تساؤل. منذ منتصف التسعينات، اعتبرت واشنطن الصين أكبر عدو لها، وحاولت الحكومات الأمريكية المتعاقبة إبقاءَ الصين محبوسة داخل حدودها من خلال مجموعة متنوِّعة من الإجراءات، وقد أشركت الولايات المتحدة الصين في إجراء محادثات نووية مطوَّلة داخل وخارج كوريا الشمالية؛ متعمِّدةً ذلك لتجنُّب التسوية الدائمة في الوقت نفسه، وقد استغلَّت أمريكا انتهاكات الصين لحقوق الإنسان في التبت وتركستان الشرقية ومعاملة جماعة فالون غونغ الدينية لتشويه سمعة القيادة الصينية وتركيزها على الداخل. لقد جعلت أمريكا الهند حصنًا منيعًا أمام توسع الصين نحو الغرب، وهيَّأت واشنطن الأسس لحرب مستقبلية بين البلدين من خلال حثّ الهند على إصلاح قدراتها العسكرية والنووية، في محاولة لمنع التوسع البحري الصيني، كما أدخلت الولايات المتحدة الهند في الحوار الأمني الرباعي (QSD) العقد الماضي، وأجرت هي والهند واليابان العديد من التدريبات البحرية لإرسال رسائل قوية إلى بكين للابتعاد عن المغامرة خارج سلاسل الجزر الأولى والثانية، فكان الهدف هو بتر أطراف الصين البحرية قبل أن تنمو، كما شجّعت واشنطن فيتنام والفلبين واليابان على إشراك الصين في النزاعات الإقليمية غير المجدية في الشرق وبحر الصين الجنوبي. مع ذلك، فإن الدعامة الأساسية لنفوذ أمريكا على الصين هي تايوان، وينظر الاستراتيجيون الأمريكيون إلى الجزيرة على أنها حاملة طائرات غير قابلة للإغراق، وقد عزّزتها الولايات المتحدة بمعدات عسكرية لإحباط أي محاولة للضم من الأرض الرئيسية، ومن ناحية أخرى، تعتبر الصين تايوان جزءًا لا يتجزأ من صين واحدة، ومصدرًا لإذلال كبير طالما دامت الجزيرة في فلك أمريكا.

على الرغم من الخطط الأمريكية المضنية التي تهدف إلى دعم احتواء الصين، تمكَّنت بكين من وضع البلاد على طريق نيزكي نحو الهيمنة الإقليمية، ونمت بسرعة لتصبح ثاني أكبر اقتصاد في العالم في عام ٢٠١٠م، متجاوزة اليابان، وتتمتَّع حاليًا بنسبة ١٧٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، وهي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة[٤٣،٤٤]. في غضون ثلاثة عقود، نما اقتصاد الصين كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي الاسمي للولايات المتحدة: من ٦٪ في عام ١٩٩٠م إلى ٦٧٪ في عام ٢٠١٩م [٤٥،٤٦]، بينما الناتج المحلي الإجمالي للاتحاد السوفياتي في ذروته وصل إلى ٥٠٪ فقط بالنسبة للولايات المتحدة، وقد تنافست بشكل قوي مع أمريكا على السيادة العالمية.

إلى جانب النمو الاقتصادي الممتاز، زادت براعة الصين التكنولوجية بشكل كبير، لا سيما في مجال الجيل الخامس والذكاء الاصطناعي، وقد حذّر رئيس شركة (Alphabet) (إريك شميدت) من تفوُّق الصين على الولايات المتحدة في مجال الذكاء الاصطناعي[٤٧]. على الجبهة العسكرية، أحرزت الصين تقدُّمًا غير عادي في تقليص الفجوة مع أمريكا، وفي عام ٢٠٠٠م أشارت وزارة الدفاع الأمريكية إلى أن

«القوات البرية والجوية والبحرية لجيش التحرير الشعبي كانت كبيرة ولكن عفا عليها الزمن في الغالب»[٤٨]، وبعد عشرين عامًا، لاحظت وزارة الدفاع أن «الصين على مدى العقدين الماضيين قد حشدت الموارد والتكنولوجيا والإرادة السياسية لتقوية وتحديث جيش التحرير الشعبي في جميع النواحي تقريبًا، وهي تتقدم بالفعل على الولايات المتحدة في بعض المجالات»[٤٩]، والتحسُّن الواسع في القدرات العسكرية الصينية أمر مقلق حقًا للاستراتيجيين العسكريين الأمريكيين.

يكمن الخلل في استراتيجية احتواء الصين في الاعتقاد الخاطئ بأن تقييد طموحات الصين الإقليمية ودمج اقتصاد الصين في الوقت نفسه في النظام الاقتصادي العالمي الذي يهيمن عليه الغرب سيسمح للولايات المتحدة بإضفاء الطابع الديمقراطي وإدارة صعود الصين. في عام ٢٠٠٠م، ربط الرئيس كلينتون صراحة بين النمو الاقتصادي وتعزيز الديمقراطية مع دعم انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية، وقال: «بالانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، فإن الصين توافق على استيراد واحدة من أعز قيم الديمقراطية (الحرية الاقتصادية)، وكلما زادت الصين من تحرير اقتصادها، زادت قدرتها على تحرير إمكانات شعبها»[٥٠]. فتحت الصين اقتصادها ببراعة وَفقًا لقواعد اللعبة الخاصة بها، في نمو اقتصادي مذهل، دون أن يتنازل الحزب الشيوعي الصيني عن السلطة، وقد استغرقت أمريكا عقدًا جيدًا أو نحو ذلك، قبل أن تتمكن من الرد على أخطاء سياسة الاحتواء في الصين.

في عام ٢٠١٢م، أعلن الرئيس أوباما عن الاستراتيجية المحورية التي طال انتظارها بين الولايات المتحدة وآسيا، والتي تتألف أساسًا من إعادة وضع ٦٠٪ من الأسطول البحري الأمريكي من أوروبا إلى منطقة آسيا والمحيط الهادئ، وحذا الرئيس ترامب حذو سلفه وبدأ حربًا تجارية مع الصين استهدفت على وجه التحديد صناعة التكنولوجيا الفائقة في الصين، ولم تؤثر أي من هذه الإجراءات على صعود الصين.

ينظر بعض المراقبين مثل دالي إلى فشل أمريكا في احتواء الصين كدليل على أن الصين ستحل محل أمريكا لقيادة العالم في المستقبل غير البعيد؛ ويتوقع آخرون، مثل فريد زكريا من قناة (CNN) أن الولايات المتحدة والصين ستستقران على ترتيب ثنائي القطبية مشابه للترتيب الأمريكي السوفياتي[٥١]، وتستند هذه الآراء إلى إعادة تقييم القوة الأمريكية وتراجعها الملحوظ.

في الواقع، لقد تنبَّأ بعض المفكرين البارزين في السياسة الخارجية الأمريكية بانحدار أمريكا قبل عقدين من الزمن، لكنهم وصفوه بالنسبي وغير المطلق. وفي عام ١٩٩٧م، وفي ذروة القوة الأمريكية، توقَّع بريجنسكي زوال أمريكا الذي لا مفر منه، وكتب في صحيفة الجارديان: «إنه بمجرد أن تبدأ القيادة الأمريكية في التلاشي... ما ستورثه أمريكا للعالم...»[٥٢]. وفي كتابه «الشؤون الخارجية» في عام ١٩٩٩م، توقَّع هاس أن

«التفوق الأمريكي لن يدوم» باعتباره «موقف وسياسة أمريكا الذي يقوم على من يأكل الآخرين حتمًا»[٥٣].

ليس هناك شك في أن استقطاب النظام السياسي الأمريكي وضعف قوتها الوطنية (لا سيما القوة الاقتصادية والعسكرية) أدَّى إلى انحدار الدولة الرائدة في العالم قبل جائحة كوفيد-١٩، وأدى التدهور في علاقات أمريكا مع أوروبا والتراجع عن روسيا والصين إلى تراجع تفوُّق أمريكا بشكل أكبر، وعلاوة على ذلك، فإن ضعف أمريكا يعني ضعف الغرب أيضًا، وقد قوّض سوء التعامل مع فيروس كورونا في الغرب الثقة في القيادة الأمريكية والأوروبية بشدة، وتركت قومية اللَقاح وصمة عار أخرى غير مواتية للكفاءة الغربية للقيادة، وهذا في تناقض ملحوظ مع دبلوماسية اللقاحات التي أجرتها روسيا والصين لتحسين صورتهما بين الدول الأكثر فقرًا في العالم.

فرصة المسلمين لإزاحة القوى العظمى

مع خروج العالم من الوباء، من الواضح جدًا أن هيمنة الغرب على العالم لن تظلَّ أبدًا كما هي، يقول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾، وهنا تكمن فرصة البلاد الإسلامية للتحرر من الهيمنة الغربية.

إن سيرة رسول الله ﷺ مليئة بأمثلة عن كيفية الاستفادة من الوضع الدولي ومتابعة صراع القوى العظمى، كمثل الصراع بين الرومان والفرس، فقد كان رسول الله ﷺ مدركًا تمامًا لقدراتهم، وهناك الكثير مما يمكن للمسلمين تعلمه وتطبيقه على وضعهم اليوم.

نشأ رسول الله ﷺ في بيئة سياسية قوية، حيث كانت قريش تراقب ميزان القوى بين الرومان والفرس؛ وذلك لأن قريشًا كانت لها اتفاقيات تجارية مع كلتا القوتين، وتابعت الأحداث لضمان الحياد في أي نزاع بين القوتين العظميين خشية أن يؤثر ذلك على تجارتها، وفي إحدى الحوادث، دخل أبو بكر في رهان على توقُّع قريش لانتصار روماني على بلاد فارس، وكان رسول الله ﷺ مدركًا تمامًا للضعف النسبي للرومان مقارنة بالفرس، وكان يعلم أن الرومان سيعكسون هذا الانحدار ليهزموا فارس في فترة زمنية معينة؛ ولذلك أمر أبا بكر بزيادة طول الوقت وعدد الإبل في رهانه مع قريش. في مناسبات أخرى، كان رسول الله ﷺ يدخل في أدق التفاصيل لتقدير ما إذا كان أولئك الذين يعطون النصرة لديهم القوة الكافية، ليس فقط لإقامة الدولة الإسلامية ولكن لتوسيعها وإزاحة الهيمنة الرومانية والفارسية، وحتى عندما كان رسول الله ﷺ في طريقه لإقامة الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، كان يراقب باهتمام الرومان والفرس لتقليل أي تأثير على إقامة الدولة الإسلامية.

لم يتجاهل رسول الله ﷺ الوضع الدولي أو ما كان يخطط له الرومان والفرس، وفي عام ٦٢٩م أدرك رسول الله ﷺ أن أمن المدينة المنورة مهدَّد من جهة قريش المعادية في الجنوب ويهود خيبر المحاربين في الشمال؛ مما جعل الوضع أكثر خطورة على الدولة الإسلامية الوليدة، وكان الرومان يبحثون عن

قاعدة في شبه الجزيرة العربية، وكانت خيبر مرشحًا واضحًا، مع ذلك، فإن توقيع معاهدة الحديبية مكَّن رسول الله ﷺ من تحييد التهديد اليهودي ومنع الرومان من توسيع سيطرتهم. لقد استمر أصحاب رسول الله ﷺ على هذا النهج بعد موته، وعندما حارب أبو بكر وعمر بن الخطاب كلًّا من الرومان والفرس في وقت واحد، كانا يدركان جيدًا أنه بعد ستة وعشرين عامًا من الحرب، دخلت كلتا القوتين فترة تراجع نسبي، فاستفادت الدولة الإسلامية من هذا الضعف لتوجيه ضربة قاضية لكلا القوتين.

لذلك يتحتم على المسلمين أن يتابعوا بشكل منهجي الوضع الدولي، ويقيِّموا انحدار القوى العظمى وصعودها، ويبحثوا دائمًا عن فرص لإعادة الدولة الإسلامية ومن ثم توسيعها، فهل هناك ما يكفي من الشجاعة والصدق للقيام بهذه المهمة اليوم؟! قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾.

المراجع:

[٢٤] Amdad, K. (٢٠٢٠). Largest Economies in the World: Why China Is the Largest, Even Though Some Say It's the U.S. *the balance*. Available at: https://www.thebalance.com/world-s-largest-economy٣٣٠٦٠٤٤-

[٢٥] Fortune. (n.d.) Fortune: Global ٥٠٠, Fortune. Available at: https://fortune.com/global٢٠١٩/٥٠٠/search/

[٢٦] OECD, (٢٠٢١). Household disposable income (indicator). doi: ١٠,١٧٨٧/dd٥٠eddd-en

[٢٧] Visual Capitalist, (٢٠٢١) The U.S. Share of the Global Economy Over Time. Available at: https://www.visualcapitalist.com/u-s-share-of-global-economy-over-time/

[٢٨] CPI Inflation Calculator, (٢٠٢١) Value of ١$ from ١٩٦٠ to ٢٠٢١. Available at: https://www.in٢٠١٣dollars.com/us/inflation/١٩٦٠?amount=١

[٢٩] Fortune Media. (٢٠٢٠ FORTUNE Releases Annual FORTUNE Global ٥٠٠ List. Available at: https://www.prnewswire.com/news-releases/fortune-releases-annual-fortune-global-٥٠٠-list٣٠١١١٩١٦٤-.html

[٣٠] Telford, T. (٢٠١٩), Income inequality in America is the highest it's been since Census Bureau started tracking it, data shows. Washington Post, Available at: https://www.washingtonpost.com/business/٢٦/٠٩/٢٠١٩/income-inequality-america-highest-its-been-since-census-started-tracking-it-data-show/

[٣١] Time, (٢٠٢٠). The Top ١٪ of Americans Have Taken ٥٠$

Available at: https://www.theguardian.com/commentisfree/٢٠١٩/apr/١٠/fewer-americans-serve-military-pentagon-panic

[٣٧] Synovitz, R. (٢٠٠٣). U.S.: Two Years After ١١/٩, 'Two Wests' Emerging With Fundamental Differences. Radio Free Europe. Available at: https://www.rferl.org/a/١١٠٤٣٠٢.html

[٣٨] BBC, (٢٠١٧). Merkel: Europe 'can no longer rely on allies' after Trump and Brexit. *BBC*. Available at: https://www.bbc.com/news/world-europe٤٠٠٧٨١٨٣-

[٣٩] Sky News, (٢٠١٨). Donald Trump ridicules Emmanuel Macron with jibe over First and Second World Wars. *Sky News*. Available at: https://news.sky.com/story/donald-trump-ridicules-emmanuel-macron-with-jibe-over-first-and-second-world-wars١١٥٥٣١٩٣-

[٤٠] New York Times, (٢٠٢١). Biden Tells Allies 'America Is Back,' but Macron and Merkel Push Back. *The New York Times*. Available at: https://www.nytimes.com/١٩/٠٢/٢٠٢١/us/politics/biden-munich-conference.html

[٤١] Gates, R. (٢٠١٤). Putin's Challenge to the West. *Wall Street Journal*. Available at: https://www.wsj.

Trillion From the Bottom ٪٩٠—And That's Made the U.S. Less Secure. *Time*, Available at:https://time.com/-٥٠/٥٨٨٨٠٢٤trillion-income-inequality-america/

[٣٢] Vine, D. (٢٠١٥). Where in the World Is the U.S. Military? *Politico*. Available at:https://www.politico.com/magazine/story/٠٦/٢٠١٥/us-military-bases-around-the-world١١٩٣٢١-

[٣٣] Statista, (٢٠٢٠). The ١٥ countries with the highest military spending worldwide in ٢٠١٩. Statista. Available at: https://www.statista.com/statistics/٢٦٢٧٤٢/countries-with-the-highest-military-spending/

[٣٤] Daggett S. (٢٠١٠). Quadrennial Defense Review ٢٠١٠: Overview and Implications for National Security Planning, *Congressional Research Service*. Available at: https://fas.org/sgp/crs/natsec/R٤١٢٥٠.pdf

[٣٥] New York Times, (٢٠١٨). U.S. Military's Global Edge Has Diminished, Strategy Review Finds. *New York Times*. Available at: https://www.nytimes.com/١٤/١١/٢٠١٨/us/politics/defense-strategy-china-russia-.html

[٣٦] Arkin, W. (٢٠١٩). Fewer Americans want to serve in the military. Cue Pentagon panic, The Guardian.

China ٢٠٢٠. *Department of Defense*, Available at: https://media.defense.gov/٢٠٢٠/Sep/-/١-/٢٠٠٢٤٨٨٦٨٩/٠١-٢٠٢٠/١/١DOD-CHINA-MILITARY-POWER-REPORT-FINAL.PDF [٤٨] ibid. ٤٧

[٤٩] ibid. ٤٧

[٥٠] Johns Hopkins University, (٢٠٠٠). Full Text of Clinton's Speech on China Trade Bill. Available at: https://www.iatp.org/sites/default/files/Full_Text_of_Clintons_Speech_on_China_Trade_Bi.htm

[٥١] Zakaria, F. (٢٠٢٠).China-US rivalry poses world's greatest challenge, but we can prosper. The Sunday Morning Herald. Available at: https://www.smh.com.au/national/china-us-rivalry-poses-world-s-greatest-challenge-but-we-can-prosper--٢٠٢٠١١٢٥p٥٦hwe.html

[٥٢] Brzezinsky, Z. (١٩٩٧). The Grand Chessboard. New York: Basic Books. Pp. ٢١٠

[٥٣] Haass, R. (١٩٩٩). What to Do With American Primacy. *Foreign Affairs*. Available at: https://www.foreignaffairs.com/articles/٠١-٠٩-١٩٩٩/what-do-american-primacy.

com/articles/SB١٠٠٠١٤٢٤٠٥٢٧٠٢٣٠٣٧٢٥٤٠٤٥٧٩٤٦٠١٨٣٨٥٤٥٧٤٢٨٤

[٤٢] Kitap Sun, (٢٠٠٠). RUSSIAN NAVY: Feelings of shame, disgrace. *Kitap Sun*. Available at: https://products.kitsapsun.com/archive/٠٠٠٦/٢٢-٠٨/٢٠٠٠_russian_navy__feelings_of_shame__.html

[٤٣] ibid. ١٥

[٤٤] Council of Foreign relations, (٢٠٢٠).Timeline: US Relations with China. *Council of Foreign Relations*. Available at: https://www.cfr.org/timeline/us-relations-china

[٤٥] ibid. ١٥

[٤٦] The World Bank, (n.d.). World Development Indicators. The World Bank. Available at: https://datatopics.worldbank.org/world-development-indicators/

[٤٧] James, V. (٢٠١٧). Eric Schmidt says America needs to 'get its act together' in AI competition with China. *The Verge*. Available at: https://www.theverge.com/١٦٥٩٢٣٣٨/١/١١/٢٠١٧/eric-schmidt-google-ai-competition-us-china

[٤٨] Department of Defense, (٢٠٢٠). Military and Security Developments Involving the People's Republic of

بسم الله الرحمن الرحيم

بالخِلافة وحدها يُقام الدين ويُجمع شمل الأمة وتُحمي الأعراض والمقدسات ويُقطع دابر الظلم والظالمين (١)

عبدالخالق عبدون علي

عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير

ولاية السودان

إقامة خليفة فرض على المسلمين كافة في جميع أقطار العالم. والقيام به هو كالقيام بأي فرض من الفروض التي فرضها الله على المسلمين. وهو أمر محتم لا تخيير فيه ولا هوادة في شأنه، والتقصير في القيام به معصية من أكبر المعاصي يعذب الله عليها أشد العذاب. أما الدليل على وجوب إقامة الخليفة على المسلمين كافة: فالكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة.

أما الكتاب، فإن الله تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحكم بين المسلمين بما أنزل الله، وكان أمره له بشكل جازم، قال تعالى مخاطبًا الرسول عليه السلام: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ وقال: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ وخطاب الرسول خطاب لأمته ما لم يرد دليل يخصصه به، وهنا لم يرد دليل فيكون خطابًا للمسلمين بإقامة الحكم. ولا يعني إقامة الخليفة إلا إقامة الحكم والسلطان؛ على أن الله تعالى فرض على المسلمين طاعة أولي الأمر، أي الحاكم، مما يدل على وجوب وجود وليِّ الأمر على المسلمين. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ ولا يأمر الله بطاعة من لا وجود له، فدل على أن إيجاد ولي الأمر واجب. فالله تعالى حين أمر بطاعة ولي الأمر فإنّه يكون قد أمر بإيجاده؛ فإن وجود ولي الأمر يترتب عليه إقامة الحكم الشرعي، وترك إيجاده يترتب عليه تضييع الحكم الشرعي، فيكون إيجاده واجبًا لما يترتب على عدم إيجاده من حُرمة، وهي تضييع الحكم الشرعي.

وأما السنّة، فقد روى مسلم عن طريق نافع قال: قال لي ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**». فالنبي صلى الله عليه وسلم فرض على كل مسلم أن تكون في عنقه بيعة، ووصف من يموت وليس في عنقه بيعة بأنه مات ميتة جاهلية. والبيعة لا تكون إلا للخليفة ليس غير. وقد أوجب الرسول على كل مسلم أن تكون

في عنقه بيعة لخليفة، ولم يوجب أن يبايع كل مسلم الخليفة. فالواجب هو وجود بيعة في عنق كل مسلم، أي وجود خليفة يستحق في عنق كل مسلم بيعة بوجوده. فوجود الخليفة هو الذي يوجد في عنق كل مسلم بيعة، سواء بايع بالفعل أم لم يبايع؛ ولهذا كان الحديث دليلًا على وجوب نصب الخليفة وليس دليلًا على وجوب أن يبايع كل فرد الخليفة. لأن الذي ذمّه الرسول هو خلوُّ عنق المسلم من بيعة حتى يموت، ولم يذمَّ عدم البيعة. وروى مسلم عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنما الإمام جُنة يُقاتَل من ورائه ويُتّقى به**».

وروى مسلم عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر، قالوا: فما تأمرنا ؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم**». وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرًا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية**». فهذه الأحاديث فيها إخبار من الرسول بأنه سيلي المسلمين ولاة، وفيها وصف للخليفة بأنه جُنة أي وقاية. فوصف الرسول بأن الإمام جُنة هو إخبار عن فوائد وجود الإمام، فهو طلب؛ لأن الإخبار من الله ومن الرسول إن كان يتضمن الذم فهو طلب ترك، أي نهي، وإن كان يتضمن المدح فهو طلب فعل، فإن كان الفعل المطلوب يترتب على فعله إقامة الحكم الشرعي، أو يترتب على تركه تضييعه، كان ذلك الطلب جازمًا. وفي هذه الأحاديث أيضًا أن الذين يسوسون المسلمين هم الخلفاء، وهو يعني طلب إقامتهم، وفيها تحريم أن يخرج المسلم من السلطان، وهذا يعني أن إقامة المسلم سلطانًا، أي حاكمًا له أمر واجب. على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بطاعة الخلفاء، وبقتال من ينازعهم في خلافتهم، وهذا يعني أمرًا بإقامة خليفة، والمحافظة على خلافته بقتال كل من ينازعه. فقد روى مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**». فالأمر بطاعة الإمام أمر بإقامته، والأمر بقتال من ينازعه قرينة على الجزم في دوام إيجاده خليفة واحدًا.

وأما إجماع الصحابة فإنهم رضوان الله عليهم أجمعوا على لزوم إقامة خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته، وأجمعوا على إقامة خليفة لأبي بكر، ثم لعمر، ثم لعثمان بعد وفاة كل منهم. وقد ظهر تأكيد إجماع الصحابة على إقامة خليفة من تأخيرهم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب وفاته واشتغالهم بنصب خليفة له، مع أن دفن

الميت عقب وفاته فرض، ويحرم على من يجب عليهم الاشتغال في تجهيزه ودفنه الاشتغال في شيء غيره حتى يتم دفنه. والصحابة الذين يجب عليهم الاشتغال في تجهيز الرسول ودفنه اشتغل قسم منهم بنصب الخليفة عن الاشتغال بدفن الرسول، وسكت قسم منهم عن هذا الاشتغال، وشاركوا في تأخير الدفن ليلتين مع قدرتهم على الإنكار، وقدرتهم على الدفن، فكان ذلك إجماعًا على الاشتغال بنصب الخليفة عن دفن الميت، ولا يكون ذلك إلاّ إذا كان نصب الخليفة أوجب من دفن الميت. وأيضًا فإن الصحابة كلهم أجمعوا طوال أيام حياتهم على وجوب نصب الخليفة، ومع اختلافهم على الشخص الذي ينتخب خليفة فإنهم لم يختلفوا مطلقًا على إقامة خليفة، لا عند وفاة رسول الله، ولا عند وفاة أي خليفة من الخلفاء الراشدين، فكان إجماع الصحابة دليلًا صريحًا وقويًا على وجوب نصب الخليفة.

على أن إقامة الدين وتنفيذ أحكام الشرع في جميع شؤون الحياة الدنيا والأخرى فرض على المسلمين بالدليل القطعي الثبوت القطعي الدلالة، ولا يمكن أن يتم ذلك إلاّ بحاكم ذي سلطان. والقاعدة الشرعية **(إن ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب)** فكان نصب الخليفة فرضًا من هذه الجهة أيضًا.

فهذه الأدلة صريحة بأن إقامة الحكم والسلطان على المسلمين فرض عليهم، وصريحة بأن إقامة خليفة يتولى هو الحكم والسلطان فرض على المسلمين؛ وذلك من أجل تنفيذ أحكام الشرع، لا مجرد حكم وسلطان. انظر قوله صلى الله عليه وسلم فيما روى مسلم عن طريق عوف بن مالك «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلّون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف، فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدًا من طاعة**». فهو صريح في الإخبار بالأئمة الأخيار والأئمة الأشرار، وصريح بتحريم منابذتهم بالسيف ما أقاموا الدين، لأن إقامة الصلاة كناية عن إقامة الدين والحكم به. فكون إقامة الخليفة ليقيم أحكام الإسلام، ويحمل دعوته فرضًا على المسلمين أمر لا شبهة في ثبوته في نصوص الشرع الصحيحة، فوق كونه فرضًا من جهة ما يحتمه الفرض الذي فرضه الله على المسلمين من إقامة حكم الإسلام وحماية بيضة المسلمين. إلا أن هذا الفرض هو فرض على الكفاية، فإن أقامه بعضهم فقد وجد الفرض وسقط عن الباقين هذا الفرض، وإن لم يستطع أن يقيمه بعضهم ولو قاموا بالأعمال التي تقيمه فإنه يبقى فرضًا على جميع المسلمين، ولا يسقط الفرض عن أي مسلم ما دام المسلمون بغير خليفة.

أما قول العلماء في وجوب الخلافة فلكثرتها تم اختيار بعضٍ منها:

يقول الجرجاني: «نصب الإمام من أتم مصالح المسلمين وأعظم مقاصد الدين».

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى: ٢٨/ص٣٩٠: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي ﷺ: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**» رواه أبو داود من حديث أبي سعيد وأبي هريرة. وروى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «**لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم**» فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع؛ ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة ولهذا روي: «إن السلطان ظل الله في الأرض» ويقال: «ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان». والتجربة تبيِّن ذلك؛ ولهذا كان السلف - كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون «لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان» انتهى.

وكذلك قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى ٢٨/ص٦٤: "ولهذا أمر النبي ﷺ أمته بتولية ولاة أمور عليهم، وأمر ولاة الأمور أن يردوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، وأمرهم بطاعة ولاة الأمور في طاعة الله تعالى - ففي سنن أبي داود - عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**». وفي سننه أيضًا عن أبي هريرة مثله، وفي مسند الإمام أحمد وعن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «**لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا أحدهم**». فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الجماعات أن يولي أحدهم، كان هذا تنبيهًا على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك، ولهذا كانت الولاية لمن يتخذها دينًا يتقرب به إلى الله ويفعل فيها الواجب بحسب الإمكان من أفضل الأعمال الصالحة، حتى قد روى الإمام أحمد في مسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «إنّ أحب الخلق إلى الله إمام عادل، وأبغض الخلق إلى الله إمام جائر».

قال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته حين مات رسول الله ﷺ وولي الخلافة من بعده: «ألا إن محمدًا قد مات، ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به».

وقال الدارمي في سننه: أخبرنا يزيدُ بنُ هارونَ، نا بقيةُ حدّثني صفوانُ بنُ رُسْتُمَ، عَنْ عبدِ الرحمنِ بنِ ميسرَةَ، عن تميمٍ الداريّ، قالَ: تطاوَلَ الناسُ في البناءِ في زَمَنِ عُمَرَ، فقالَ

عُمَرُ: «يا مَعْشَرَ العربِ، الأرضَ الأرضَ، إنه لا إسْلامَ إلاَّ بِجَمَاعَةٍ، ولا جماعَة إلاَّ بإمارَة، ولا إمَارَة إلاَّ بطاعةٍ، فمن سوَّدَهُ قَوْمُهُ على الفِقْهِ كانَ حياةً لَهُ ولَهُمْ، وَمَنْ سَوَّدَهُ قَوْمُهُ على غيرِ فِقْهٍ كان هلاكًا لَهُ وَلَهُمْ». ورواه ابن عبد البر القرطبي في جامع بيان العلم وفضله.

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور في (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام): «فإقامة حكومة عامة وخاصة للمسلمين أصل من أصول التشريع الإسلامي ثبت ذلك بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة بلغت مبلغ التواتر المعنوي. مما دعا الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ إلى الإسراع بالتجمع والتفاوض لإقامة خلفٍ عن الرسول ﷺ في رعاية الأمة الإسلامية، فأجمع المهاجرون والأنصار يوم السقيفة على إقامة خليفة من بعده، فكان أبو بكر الصديق خليفة عن رسول الله ﷺ للمسلمين. ولم يختلف المسلمون بعد ذلك في وجوب إقامة خليفة إلا شذوذًا لا يُعبأ بهم من بعض الخوارج وبعض المعتزلة؛ حيث نقضوا الإجماع فلم تلتفت لهم الأبصار ولم تُصغِ لهم الأسماع. ولمكانة الخلافة في أصول الشريعة ألحقها علماء أصول الدين بمسائله، فكان من أبوابه الإمامة. قال إمام الحرمين [أبو المعالي الجويني] في الإرشاد: (الكلام في الإمامة ليس من أصول الاعتقاد، والخطر على من يزلُّ فيه يربى على الخطر على من يجهل أصلًا من أصول الدين)». انتهى قول ابن عاشور. ومعنى كلام الجويني أن الإمامية إذ جعلوا الإمامة من أصول الاعتقاد فإنها ليست منه، ولكن الخطأ في الزلل فيها يناهز الخطر في الزلل في أصول الدين لأهميتها.

يقول الهيثمي في الصواعق المحرقة: «اعلم أيضًا أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن الرسول ﷺ».

وقال أبو بكر الأنصاري في غاية الوصول في **شرح لب الأصول:** (ويجب على الناس نصب إمام) يقوم بمصالحهم كسدّ الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلِّبة والمتلصِّصة لإجماع الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ على نصبه حتى جعلوه أهم الواجبات، وقدّموه على دفنه ﷺ، ولم يزل الناس في كل عصر على ذلك».

وقال محمد بن أحمد بن محمد بن هاشم المحلي المصري الشافعي جلال الدين المفسر الفقيه المتكلم الأصولي النحوي في كتابه شرح المحلي على جمع الجوامع: «ويجبُ على النَّاسِ نَصْبُ إمامٍ يقوم بمصالحهم كسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلِّبة والمتلصصة وقطاع الطريق وغير ذلك لإجماع الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ على نصبه حتى جعلوه أهم الواجبات وقدموه على دفنه ولم يزل الناس في كل عصر على ذلك.»

جاء في كتاب «غاية البيان شرح زبد ابن رسلان» **للفقيه الشافعي شمس الدين محمد**

بن أحمد الرملي الأنصاري الملقب بالشافعي الصغير (وهو من علماء القرن التاسع الهجري) ما يلي: (يجب على الناس نصب إمام يقوم بمصالحهم، كتنفيذ أحكامهم، وإقامة حدودهم، وسد ثغورهم، وتجهيز جيوشهم، وأخذ صدقاتهم إن دفعوها، وقهر المتغلِّبة والمتلصِّصة وقطاع الطريق، وقطع المنازعات الواقعة بين الخصوم، وقسمة الغنائم وغير ذلك؛ لإجماع الصحابة بعد وفاته ﷺ على نصبه حتى جعلوه أهم الواجبات، وقدموه على دفنه ﷺ، ولم تزل الناس في كل عصر على ذلك).

قال د. ضياء الدين الريّس في كتابه: (الإسلام والخلافة) ص ٣٤٨: «والإجماع كما قرروه أصل عظيم من أصول الشريعة الإسلامية. وأقوى إجماع أو أعلاه مرتبة هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم لأنهم هم الصف والرعيل الأول من المسلمين، وهم الذين لازموا الرسول ﷺ واشتركوا معه في جهاده وأعماله وسمعوا أقواله، فهم الذين يعرفون أحكام وأسرار الإسلام، وكان عددهم محصورًا وإجماعهم مشهورًا، وهم قد أجمعوا عقب أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى على أنه لا بد أن يقوم من يخلفه، واجتمعوا ليختاروا خليفته، ولم يقل أحد منهم أبدًا أنه لا حاجة للمسلمين بإمام أو خليفة، فثبت بهذا إجماعهم على وجوب وجود الخلافة، وهذا هو أصل الإجماع الذي تستند إليه الخلافة».

وقال أيضًا في ص٩٩: «فالخلافة أهم منصب ديني وتهم المسلمين جميعًا، وقد نصت الشريعة الإسلامية على أن إقامة الخلافة فرض أساسي من فروض الدين، بل هو الفرض الأعظم لأنه يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض».

وقال أيضًا في ص ٣٤١: «إن علماء الإسلام قد أجمعوا كما عرفنا فيما تقدم - على أن الخلافة أو الإمامة فرض أساسي من فروض الدين، بل هو الفرض الأول أو الأهم؛ لأنه يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض وتحقيق المصالح العامة للمسلمين؛ ولذا أسمَوا هذا المنصب «الإمامة العظمى» في مقابل إمامة الصلاة التي سميت «الإمامة الصغرى» وهذا هو رأي أهل السنة والجماعة، وهم الكثرة العظمى للمسلمين، وهو إذًا رأي كبار المجتهدين: الأئمة الأربعة والعلماء أمثال الماوردي والجويني والغزالي والرازي والتفتازاني وابن خلدون وغيرهم، وهم الأئمة الذين يأخذ المسلمون عنهم الدين، وقد عرفنا الأدلة والبراهين التي استدلوا بها على وجوب الخلافة».

ثم **نقل عن الشهرستاني** قوله: «وما دار في قلبه (أي الصِّدِّيق) ولا في قلب أحد أنه يجوز خلو الأرض عن إمام؛ فدلّ ذلك كله على أن الصحابة وهم الصدر الأول، كانوا على بكرة أبيهم متفقين على أنه لا بدَّ من وجوب الإمامة".

وقال الشيخ علي بلحاج في كراسته (إعادة الخلافة من أعظم واجبات الدين): «الخلافة

على منهج النبوة» كيف لا وقد قرر علماء الإسلام وأعلامه أن الخلافة فرض أساسي من فروض هذا الدين العظيم، بل هو «الفرض الأكبر» الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض، وإن الزهد في إقامة هذه الفريضة من «كبائر الإثم»، وما الضياع والتيه والخلافات والنزاعات الناشبة بين المسلمين كأفراد وبين الشعوب الإسلامية كدول إلا لتفريط المسلمين في إقامة هذه الفريضة العظيمة».

قال ابن خلدون (في المقدمة): «إن نصب الإمام واجب، قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم يترك الناس فوضى في عصر من الأعصار، واستقرَّ ذلك إجماعًا دالًّا على وجوب نصب الإمام». أي أن الأمة نقلت هذا الإجماع واستقرَّ لديها كابرًا عن كابر، وطبقة عن طبقة، فوجود الإجماع متواتر.

قال الخطيب البغدادي، رحمه الله: «أجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر، قالوا له: يا خليفة رسول الله، ولم يسمَّ أحد بعده خليفة، وقيل: إنه قبض النبي ﷺ عن ثلاثين ألف مسلم كُلٌّ قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، ورضوا به من بعده رضي الله عنهم. أقول: وليست العبرة ببيعة آحاد المسلمين كلهم له، بل العبرة بإجماعهم على حرمة خلو العصر من إمام، وعلى فرضية خلافة رسول الله ﷺ. فالرسول ﷺ إذ قال: «**ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»، يفهم من هذا أن المطلوب هو وجود خليفة له في الأعناق بيعة لا أن يبايعه كل مسلم، وبالتالي فلو كان عدد المسلمين مليارًا فليس المطلوب أن يبايع المليار، بل أن يكون على المليار خليفة أخذ البيعة بالتراضي من الأمة أو ممن يمثل الأمة!»

وقال أبو الحسن الأشعري: أثنى الله - عز وجل - على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال عز وجل: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، [الفتح: ١٨]. قد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه وسمّوه خليفة رسول الله وبايعوه وانقادوا له وأقرُّوا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك.

وقال عبد الملك الجويني: أما إمامة أبي بكر رضي الله عنه فقد ثبتت بإجماع الصحابة، فإنهم أطبقوا على بذل الطاعة والانقياد لحكمه... وما تخرص به الروافض من إبداء علي شراسًا وشماسًا في عقد البيعة له كذب صريح، نعم لم يكن رضي الله عنه في السقيفة، وكان مستخليًا بنفسه قد استفزَّه الحزن على رسول

الله ﷺ، ثم دخل فيما دخل الناس فيه وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد.

وقال أبو بكر الباقلاني في معرض ذكره للإجماع على خلافة الصِّديق رضي الله عنه: وكان رضي الله عنه مفروض الطاعة لإجماع المسلمين على طاعته وإمامته وانقيادهم له حتى قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه مجيبًا لقوله رضي الله عنه لما قال: أقيلوني فلست بخيركم، فقال: لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله ﷺ لديننا ألا نرضاك لدنيانا، يعني بذلك حين قدمه للإمامة في الصلاة مع حضوره واستنابته في إمارة الحج، فأمرك علينا. وكان رضي الله عنه أفضل الأمة وأرجحهم إيمانًا وأكملهم فهمًا وأوفرهم علمًا.

قال الشهرستاني: (واصفًا حال الصحابة حين اقتربت وفاة أبي بكر رضي الله، واختياره لعمر رضي الله عنه) «وما دار في قلبه (أي أبي بكر) ولا في قلب أحد أن يجوز خلو الأرض عن إمام، فدل ذلك كله على أن الصحابة، وهم الصدر الأول، كانوا على بكرة أبيهم متفقين على أنه لا بد من إمام، فذلك الإجماع على هذا الوجه، دليل قاطع على وجوب الإمامة".

قال الإيجي في المواقف في علم الكلام: وأما وجوبه علينا سمعًا فلوجهين:

الأول: إنه تواتر إجماع المسلمين في الصدر الأول من وفاة النبي ﷺ على امتناع خلو الوقت عن إمام، حتى قال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته: ألا إن محمدًا قد مات، ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به، فبادر الكل إلى قبوله، وتركوا له أهم الأشياء، وهو دفن رسول الله ﷺ، ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر إلى زماننا هذا من نصب إمام متبع في كل عصر، فإن قيل: لا بد للإجماع من مستند ولو كان النقل، لتوفر الدواعي، قلنا: استغني عن نقله بالإجماع، أو كان من قبيل ما لا يمكن نقله من قرائن الأحوال التي لا يمكن معرفتها إلا بالمشاهدة والعيان لمن كان في زمن النبي ﷺ.

الثاني: أن فيه دفع ضرر مظنون وأنه واجب إجماعًا. وبيانه: إنا نعلم علمًا يقارب الضرورة أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمناكحات والجهاد والحدود والمقاصات وإظهار شعار الشرع في الأعياد والجمعات إنما هو مصالح عائدة إلى الخلق معاشًا ومعادًا، وذلك لا يتم إلا بإمام من قبل الشارع يرجعون إليه فيما يعنُّ لهم، فإنهم - مع اختلاف الأهواء وتشتت الآراء، وما بينهم من الشحناء - قلما ينقاد بعضهم لبعض فيفضي ذلك إلى التنازع والتواثب، وربما أدى إلى هلاكهم جميعًا.

و**قال الماوردي** (في الأحكام السلطانية): «وعقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم».

قال النووي ٢٠٥/١٢ شرح صحيح مسلم: «أجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة». [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

القوى الدافعة لدى الأمم والقوة الدافعة في الإسلام

عصام الشيخ غانم

هذا موضوع دقيق في الفكر وله تأثير سياسي مباشر. وحتى تتيسر الأمور نقول بأن هناك أممًا مندفعة إلى الواجهة وهناك أمم أخرى مختبئة في الظل وبعضها في الظلام، والسؤال عنوان موضوعنا: ما الذي جعل أممًا تندفع وتخرج من حجرها وأممًا أخرى تنتظر في الظل وأخرى غارقة في الظلام ليس لها نور تهتدي به؟ هذا سؤال كبير.

ولتقريب الأمور نقول بأن الله خلق البشر متفاوتين، فمنهم عالم وجاهل، ومنهم غني وفقير، ومنهم أمير ومأمور؛ ولكن هناك تغييرات تحصل في العلم والغنى والإمارة، وبعض هذه التغييرات تحطُّ من صاحبها وأخرى تدفعه إلى الأمام، فقد تجد شابًا فقيرًا يندفع لخطبة ابنة الأمير، وهو ممتلئ بالشعور بأنه يمتلك الأهلية لذلك، فقد يكون مندفعًا بعلمه أو بشجاعته أو بأي سبب آخر دفعه للشعور بأنه مؤهل للزواج من بنت الأمير. هذا في أفراد الناس، وأما في الأمم فهناك دوافع تدفع الأمم إلى الأمام أو إلى الوراء؛ فمثلًا الشعور العام بالظلم يدفع الأمة إلى القيام بما يرفعه عنها، والشعور بالأحقية يدفع بأمة ما إلى مزاحمة أمةٍ أخرى واقتعاد مكانها، وهذا الشعور لدى الأمم يمكن أن يقدر بالكمّ فنقول شعورًا جياشًا في أعلاه، أو شعورًا متوسطًا في أقل قوته الدافعة، ويمكن لهذا الشعور أن يكون صحيحًا ويمكن أن يكون خاطئًا.

فمثلًا بسبب طول فترة حكم القذافي لليبيا وسكوت الناس على ظلمه طويلًا ظُنَ بأنه أكبر من رئيس أو ملك، وعندما خرج الناس عليه خاطبهم بقوله: من أنتم؟ قبل أن يسقطوه عن الحكم ويطاردوه في مدينة سرت ويقتلوه، فكان شعوره بعلو الإمارة من النوع الخاطئ. وأما أمريكا فإن شعورها بالقوامة على الأمم في مسائل حقوق الإنسان كان شعورًا دجالًا لأنها لا تهتم بحقوق الإنسان، وعندما انكشف دجلها بسياساتها في أبو غريب وباغرام وقلعة جانغي خفت شعورها بالقوامة على الأمم في هذه المسألة، وقد صارت بعد ذلك أقرب إلى أعمال الفاسدين في مكافحة الفساد أو العاهر الذي ينظر للشرف، بمعنى أن الدجل قد انكشف ففقدت أمريكا ما يدفعها للمطالبة بالقوامة على الأمم، وهي في ذلك كالرجل المسقط، فالعميل الذي ينادي بالوطنية يكون نداؤه خافتًا ورموشه تهتز وهو ينظر إلى من يعلم عمالته من حوله، بمعنى أنه يعلم أنه غير صادق، ويعلم بأن آخرين يعلمون ذلك أيضًا، لذلك تكون نداءاته للوطنية لغرض في نفسه يقضيه، ولا تكون دعوة حقيقية للوطنية.

وبمزيد من الأمثلة يمكن توضيح الأمور، فعندما تطورت الدول الأوروبية بفعل الثورة الفرنسية التي أنتجت الثقافة الديمقراطية الحالية، وعندما أخذ التقدم العلمي يرفع من حياة الدول الأوروبية، وشعرت بأنها أفضل حالًا من المسلمين في الدولة العثمانية التي كان حالها ينزل مع السنين، وشعرت كذلك أنها بحاجة إلى حماية نفسها من غزوات المسلمين؛ فقد تولَّد شعور كبير في أوروبا بضرورة صناعة أدوات القوة التي تمكِّن من القضاء على الدولة العثمانية ووضع الأوروبيين في صدارة العالم، وكان هذا الشعور شعورًا حقيقيًا ولم يكن كاذبًا.

وعندما شعرت بريطانيا بأنها أكثر دهاءً من باقي الدول الأوروبية فقد اندفعت لتسييرها وفق المصلحة البريطانية؛ لكن تسييرها كان بحاجة أيضًا لأن تثبت بريطانيا بأنها أفضل من تلك الدول صناعيًا وعسكريًا، فبنت صناعتها وعسكريتها قبل أن تسيِّر الدول الأوروبية لصالحها. وأما في روسيا التي وقعت تحت الاحتلال المغولي-التتري، ثم غزوة نابليون، ويقينها بأن الدول الأوروبية تعامل الروس على أنهم أقل من الأوروبيين ولا تتقاسم معهم الاستعمار والغنائم كما تفعل فيما بينها، فقد تولَّد لدى الروس شعور بالمظلومية أنتج وطنية كبيرة لدى الروس وأخذ يدفع بروسيا إلى الأمام، ويحافظ على مكانة لها بين الدول الأوروبية الكبرى وإن ظلت رابعها، لكن عندما انتصر الحزب الشيوعي الروسي في روسيا وهو يعتبر نفسه المخلِّص من جحيم الرأسمالية فقد زاد شعور الروس بالارتقاء والارتفاع والريادة والقيادة والقوامة على الغير، وفعلًا اندفعت روسيا وسبقت غيرها من الدول الأوروبية.

ولـمَّا نما شعور ليس في محله، أو شعور كاذب لدى الألمان بأن العرق الألماني أفضل من غيره وأصبح ذلك شعورًا قوميًا جياشًا فقد اندفعت ألمانيا تناكف بريطانيا وفرنسا في السياسة الأوروبية والدولية حتى حصلت الحرب العالمية الأولى، ثم الثانية، أي أن الشعور القومي لدى الألمان كان متهوِّرًا وأكبر من طاقات ألمانيا، أو أنه لم يتمَّ توجيهه الوجهة الصحيحة. وبغضِّ النظر عن صدقه من كذبه لأنه كان موجودًا لدى الألمان؛ لكنه كان يتعارض وبقوة مع مشاعر الأمم الأخرى فلم يصمد وانهزمت ألمانيا. وإذا كنا نرى اليوم أمريكا يدفعها شعورها بأنها الأقوى والأغنى إلى الأمام وإلى الهيمنة والصدارة الدولية، وهي في قمة مجدها؛ إلا أن دولة أخرى اليوم يتطوَّر اقتصادها هي الصين، ويزيد بذلك شعورها بأنه يجب أن يكون لها مكانة أفضل، وفعلًا دفعها هذا الشعور لمغادرة المنطقة المظلمة إلى الظل محاولةً الاندفاع أكثر تحت الأضواء العالمية.

ومن كل هذه الأمثلة يظهر بوضوح بأن المشاعر الجيَّاشة لدى الأمم هي التي تدفع بها لبناء عناصر قوتها من قوة اقتصادية وعسكرية وسياسية وصناعية وغير ذلك، وعندما تظهر عناصر قوتها كقوة جيشها

أو قوة اقتصادها فإنها تبدأ بالمزاحمة والمنافسة والصراع من أجل تغيير مكانتها.

وبمراقبة أحوال الأمم نجد بأن أمورًا متنوعة هي ما يقف خلف توليد تلك المشاعر الدافعة، فالأمة المظلومة يدفعها الشعور بالظلم لرفعه عنها فتبني لذلك أدواته. والأمة الرائدة التي أثبتت نجاحًا متميزًا في الجوانب العلمية والأبحاث والصناعة فإن ريادتها وسبقها وكونها في المقدمة، وبالتالي حاجة الأمم الأخرى إليها في هذه الجوانب، هي الحقائق التي تولِّد ذلك الشعور الدافع إلى الأمام. والأمة المنتصرة في حرب أمام عدو كبير كانتصار روسيا الاشتراكية على هتلر يدفعها شعور المنتصر إلى الأمام. والأمور المولِّدة للمشاعر متنوعة بشكل كبير، وقد يكون الأمر كبيرًا فيولِّد شعورًا كبيرًا، وقد يكون صغيرًا، وقد يكون خاصًا كالموقع المحصَّن خلف البحار لأمريكا الذي يدفعها للشعور بالأمان إن هي شاركت في الحروب خلف المحيطات، أي لا تصل الحرب لبلادها، فهذا شعور خاص ودافع للحرب.

لكن الكثير من تلك المشاعر ذات طابع مؤقت حتى لو دام لعقود، فمثلًا تختفي المشاعر المتولِّدة عن المظلومية إذا رفع الظلم، لكن هناك سبب دافع للمشاعر يكون له طابع الديمومة وهو الفكر والعقيدة، وبقدر علوِّ الفكر وعمق تلك العقيدة وما ينتج عنها من الارتقاء في الحياة يكون مقدار المشاعر المتولِّدة والتي تدفع بالأمة إلى الأمام. ويمكن أن يكون الفكر جزئيًا في بعض جوانب الحياة فيكون الدفع جزئيًا، ويمكن أن يكون الفكر والعقيدة شاملًا لكل المناحي، وهو المبدأ، وحينها ينتج عنه ارتقاء في كافة مناحي الحياة ويولد مشاعر شاملة تدفع بالأمة إلى الأمام؛ لكن المبدأ يمكن أن يكون خاطئًا ويتعارض مع الحقائق، مثل الاشتراكية وتعارضها مع حقيقة غريزة التملك، ومثل الرأسمالية التي أنتجت أنانية فوق العادة دفعت بتعداد السكان للتناقص، فإن هذا المبدأ ينتج مشاعر عالية في البداية لأنه جديد، ثم ما يلبث أن يخفت تأثيره جزئيًا كالرأسمالية أو كليًا كالاشتراكية.

والأمم التي ينتشر فيها فكر شامل، أي مبدأ يحلُّ مشكلاتها وَفقًا لما يقدِّمه من حلول، فتشعر الأمة بالأريحية وينطلق تفكيرها في البناء الفعال وتبني عناصر قوتها، وهذا يقودها إلى الشعور بالارتقاء والارتفاع فتندفع وتزيد من اندفاعها في الحياة، بمعنى أن المشاعر المصاحبة لتأثير المبدأ في الأمة تشكل قوةً دافعةً إلى الأمام، تكون قوتها بقدر قوة المبدأ وصحته وعدم تعارضه مع الحقائق؛ لأن التعارض مع الحقائق المحسوسة يفتك بقوة بمشاعر حملة ذلك المبدأ ويضعفهم من داخل أنفسهم، فينتقل الضعف إلى الأمة، فيتوقف اندفاعها فتلجأ إلى الظل وربما إلى الظلام.

وأما القوة الدافعة في الإسلام فهي قوة خارقة، ويكفي للإشارة إليها أنها تدفع بالعجوز البسيطة المؤمنة بأنها من أصحاب

الجنة للشعور بالتعالي على رئيس أمريكا لأنه من أهل النار، وتدفع التلميذ المسلم في أوروبا للشعور بالتعالي على أستاذه في العلوم لأن أستاذه كافر نجس، هذا من حيث النظرة للغير. وأما النظرة للنفس ففيها استقرار وطمأنينة بأن المسلم على حق، وأن حياته امتحان معجَّل للقاء الله المؤجَّل إلى حين، وأن الله تعالى خالق كل شيء والعظيم الجبار الذي بيده إن أراد أن يقول لشيء كن فيكون هو معه ومؤيده وناصره، وما عليه إلا أن يبقي على صلته بالله وثيقة ليكون في أحسن حاله. ومن كان الله معه فهو غير محتاج لأي شيء آخر، فهو مستغنٍ عن الاستناد إلى أي قوة في الدنيا.

وبما أن عقيدة الإسلام كل متكامل، فهو مؤمن بالله العظيم وينشرح صدره، بمعنى ينتابه سرور عظيم وطمأنينة إذا ذكر الله تعالى، وكلما استحضر فكرة أن الله معه زاد يقينه في هذه الدنيا، وعنده من الله كتاب ينطق بالحق، لا يتعارض مع الحقائق، فقد تطوَّر الطب كثيرًا ولم يجد علاجًا للموت الذي قضاه الله تعالى، وتطوَّرت العلوم ولم تجد ماهية الروح التي جزم الإسلام قديمًا بأن علمها ليس للبشر، وفي الوقت الذي ينتاب العالم الهلع من الأمراض الناتجة عن العلاقات المحرمة فإن زوج الأربعة نساء لا يصاب بأي مرض، وغير ذلك كثير مما يرسخ إيمان المؤمن بالكتاب الذي بين يديه.

وليس هذا فحسب، بل إن الواعي لأفكار الدين لا يعيقه علم الله أو اللوح المحفوظ عن التخطيط للمستقبل، بل يريحه ذلك في القبول بالماضي الذي ما كان فيه بالإمكان إلا ما كان، ويؤمن المسلم بأن ما أصابه ما كان ليخطئه، وما أخطأه ما كان ليصيبه، ويؤمن المسلم بأن مانح الرزق هو واحد أحد هو الله تعالى فلا يذل نفسه في الأعمال والأسواق، ويؤمن بأن لا خطر على حياته إلا ما شاء الله فيقتحم الصعاب دون مهابة الموت، وكان علي بن أبي طالب حين سئل عن جرأته في المعارك يقول: تحمينا آجالنا. وكان خالد بن الوليد يقول للمتخوِّفين من نزول المعارك: «ما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي، كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء». وهذه العقائد من الإيمان بالأجل، والإيمان بالرزق، والإيمان بالقضاء والقدر، والإيمان بالقدر وبيوم القيامة ولقاء الله، كلها فكر شامخ حاكم للنفس، ولا يدركها على حقيقتها إلا من يراها رأي العين، ويلمسها لمس الإصبع، فهي ليست كلامًا يقال، بل لها واقع يجعل من الضعيف قويًا، ويجعل الوضيع قائدًا. ومن الجدير ذكره بأن الكفار لا يفهمون معنى ما نقول بالعمق الذي يعرفه المؤمنون، ويعزون قوة المسلمين إلى المجهول، وإن كانوا يلمسون تلك القوة على حقيقتها، سواء في معارك المسلمين أم في بعض تصرفات أفراد المؤمنين.

وبالتدقيق في مجمل عقائد الإسلام يجد الواعي بأن هذه العقائد توجد الثقة بالنفس، وتوجد التعالي على الغير الكافر، وتزيل عقبات الخوف بقدر الإيمان، فإن كان الإيمان مكتملًا زال الخوف برمته، سواء على الحياة أم الأرزاق أم مصائب الدنيا أم تحمُّل الصعاب، أم غير ذلك. وبالتدقيق الفكري نجد أن من كان متيقِّنًا من عقيدته واثقًا بالمسار الذي يفرضه الدين، وقد أزالت العقيدة كافة العقبات من خوف من أمامه، تجده منطلقًا إلى الأمام. ولعل التذكير بقوة الربيع العربي لا بأس به حين قال كل المحلِّلين بأن الشعوب العربية قد كسرت حاجز الخوف، فإذا انكسر هذا الحاجز فقد تولَّدت مشاعر متدفِّقة ودائمة بشرط صحوة الإيمان ولا تذبل إلا بالغفلة. وهذه المشاعر قويَّة وجيَّاشة ومن طبيعتها أنها تدفع إلى الأمام، ومن طبيعتها في المجتمع أن القدوات يؤثرون في غيرهم من بسطاء الناس، فينطلق الجميع مشكِّلين تيارًا هادرًا وقادرًا على بناء الاقتصاد، وبناء الدولة، وبناء الجيش، وبناء الخطط، ومؤهَّلًا بالكامل للنجاح ووضع هذه الأمة في مكانة مرموقة بين الأمم.

وهذا ما كان عندما هزمت قبائل العرب البسيطة أمم فارس والروم وفتحت بلادها وقادت شعوبها وأصبح رعاة الأغنام قادة الدنيا بأسرها إذا وقفوا ارتجت الأرض لوقفتهم، وانهارت القوى من أمامهم. وهذا قادم قريبًا بإذن الله لأن القوة الدافعة في الإسلام قديمًا هي هي لم تتغير، وهي قادرة اليوم على وضع الأمة الإسلامية في مكانتها الطبيعية العالية بين الأمم بشرط أن تكون النخبة القائمة على التغيير في حالة صحوة وبعيدة عن الغفلة، وهذا مجمل حالها بإذن الله، أي إنها قادرة حين تحين ساعة النصر على شحن الأمة بعقائد الإسلام لتحيل من هذه الأمة التي بدت قبل عقود وكأنها ميتة، تحيلها خلقًا جديدًا، فتكون فيها مشاعر العظمة بعظمة الدين الذي تدين به فتندفع إلى الأمام، وهذه القوة الدافعة في الإسلام فريدة من نوعها من زاويتين؛ الأولى أنها تدفع بقوة جبَّارة لا حدود لها ولا تعرف الأمم الأخرى قوة شبيهة لها في مقدار قوة الدفع، والزاوية الثانية أن دفعها شامل لكل مناحي الحياة، فلا يقبل المسلمون أن يقاتلوا بأسلحة صنعتها أمم أخرى، اللهم إلا في البداية، بل يصنعون سلاحهم بأيديهم، ولا يقبلون بأن يكونوا ذيلًا لأمة أخرى في الصناعة والتكنولوجيا وغير ذلك، بل يصنعون ما يلزمهم وفي فترة قياسية.

نسأل الله تعالى أن نرى ذلك قريبًا في أمة الإسلام، لتريَ الله من نفسها شيئًا، وتريَ أعداءها من نفسها عجبًا، وما ذلك بإذن الله ببعيد. قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾.■

بسم الله الرحمن الرحيم

تخلف المسلمون عن الصدارة بعد هدم دولة الخلافة

الكاتب : المهندس خالد السراري - اليمن

الناظر والمتتبع لوضع المسلمين تحت ظل أنظمة العمالة الحالية يدرك جيدًا كم تخلف المسلمون عن ركب الصدارة في شتى المجالات السياسية والعلمية والاقتصادية... بل إن بعض المسلمين للأسف لا يعلم أصلًا أن أمته الإسلامية كانت في وقت مضى متربعة على عرش المركز الأول عالميًا متصدرة في جميع الميادين والمجالات. وهذا العزُّ المفقود لم يكن ليتأتَّى في ظل الأنظمة الحالية العميلة التابعة للغرب، أنظمة الهوان والذل والعار، والتي لا همَّ لها غير المحافظة على الكراسي مقابل أن تسمح للغرب الكافر أن يفعل ما يحلو له بدماء وأعراض وأرض وثروات المسلمين، فقد كانت الخلافة الإسلامية هي النظام المتقدم والمسيطر على النظام العالمي لقرون عديدة، يدبِّر ويرعى شؤون المسلمين، وله كلمة الفصل في الشؤون الدولية.

إن الفكرة التي يريد الغرب الاستعماري الكافر غرسها في عقول المسلمين، ويدأب ليل نهار على ترويجها بينهم بالاستعانة ببعض العملاء المدفوعين والمنبهرين بحضارة الغرب من أبناء جلدتنا، وباستخدام وسائل إعلامهم المسمومة: المسموعة منها والمرئية والمقروءة، وبموافقة وتأييد أنظمة العمالة الحالية، هي أن الخلافة الإسلامية هي نظام قديم متخلِّف لا يصلح أن يتعايش مع وضعنا الحالي من التطور، أو أن يعود النظام الذي يحكم المسلمين؛ ومن أجل ذلك تراه حين يتحدث عن الخلافة الإسلامية يتحدث عنها ليستحضر في أذهان المسلمين مشاهد السيف والناقة والنخلة، وتجد المسلسلات والبرامج لا تعرض عن حقيقة الخلافة الإسلامية شيئًا يذكر. وإن أظهرت صورتها فتظهرها بمشهد النظام القديم العفوي الخالي من أي ترتيب أو تنظيم، وبشكل لا يتناسب أن يعود نظامًا للحكم في وقتنا هذا، ثم ينكبُّ المنبهرون بحضارة الغرب من العلمانيين الذين تتوفر لهم كل الدعاية عبر وسائل الإعلام المأجورة، ليبهروا المسلمين بالحضارة الغربية المزيفة، وليحبِّبوهم بها؛ وبالتالي ليتمنَّوا أن يكون نظام حكمهم مأخوذًا من الحضارة الغربية، بل وحتى نفس أسلوب عيشهم. وقد عملوا جادين حتى يبتعد المسلمون عن ذكر الخلافة الإسلامية كحل لأزماتهم الحالية فعمدوا عن قصد إلى تشويه الخلافة عن طريق تنظيم الدولة، وربط مشاهد الذبح والتفجير والحرق التي قام بها وإلصاقها بثوب الخلافة الإسلامية بهتانًا وزورًا، لتكون مرفوضة من أهلها.

والحقيقة، إن المسلمين يعلمون أن الخلافة الإسلامية بعيدة كل البعد عن هذه الصورة المزيفة، فقد كان المسلمون يعيشون

تحت عزة ومنعة، متقدمين في شتى المجالات العلمية والطبية والهندسية والاجتماعية، فالخلافة أمَّنت الجو والبيئة والحاضنة التي أخرجتْ وآوتْ العلماء والمهندسين والمخترعين والمكتشفين الذين أفادوا العالم كله، وليس الذبح والتنكيل كما يريد الغرب الكافر أن يصوره الآن، وهاكم بعض إنجازات المسلمين وما وصلوا إليه تحت حكم الخلافة الإسلامية على سبيل الذكر لا الحصر.

فالمسلمون هم أول من أخترع الكاميرا التي تعتبر عماد الحياة الإعلامية الحديثة. وقد أخذت اسمها من كلمة «قمرة» العربية وتعني الغرفة المظلمة أو الخاصة، وكان هذا على يد العالم المسلم ابن الهيثم عالم الرياضيات والفلك والفيزياء.

وأيضًا الفلكي والشاعر والمهندس المسلم عباس بن فرناس كان قد سبق الأخوين رايت بألف عام في صناعة آلة للطيران!. وقد طار لأول مرة من على مئذنة في مدينة قرطبة مستخدمًا عباءة محشوة بمواد خشبية. وقد كانت عباءة بن فرناس أول مظلة في التاريخ. ثم اخترع آلة أخرى من الحرير وريش النسور وطار فيها من أعلى جبل وبقي في الجو لمدة عشر دقائق ثم سقط. واكتشف فيما بعد أن سبب سقوطه يعود إلى عدم صنع ذيل لطائرته.

وقد كان المسلمون هم أول من طوَّر الصابون الذي نستخدمه اليوم، وأضافوا له الزيوت النباتية وهيدروكسيد الصوديوم والعطورات كعطر الزعتر بينما كانت تفوح من أجساد الصليبيين الذين غزوا الأرض الإسلامية روائح كريهة للغاية حسبما يقول مسلمو ذلك الزمان. وقد جلب الشامبو إلى إنجلترا لأول مرة شخص مسلم وقد عـُين فيما بعد في بلاط الملكين جورج وويليام الرابع لشؤون النظافة.

العالم المسلم جابر بن حيَّان مخترع الكيمياء الحديثة، وإليه يعود الفضل في صناعة كل أجهزة التقطير والفلترة والتبخير والتطهير والأكسدة المستخدمة هذه الأيام. وكذلك قام بتحضير مركبات حامض الكبريتيك من الزاج الأزرق ودعاه بزيت الزاج، واكتشف الصودا الكاوية، وقام بتحضير حامض النيتريك والهيدروكلوريك.

وإذا أتينا إلى الاختراعات الميكانيكية فسنجد أن الفضل يعود إلى المهندس المسلم الجزاري في تصميم أهم الاختراعات الميكانيكية في تاريخ الإنسانية. فهو الذي صمَّم أول صمَّامات عرفها الإنسان، وهو الذي اخترع الساعات الميكانيكية، وهو أبو علم الآليات والتسيير الذاتي الذي تقوم عليه الصناعات الحديثة. وللتذكير أيضًا فهو أول من اخترع القفل الرقمي الذي نراه الآن مستخدمًا في الحقائب والخزائن.

وقد كان المسلمون هم أول من صنع المواد العازلة، وهم الذين ابتكروا الألبسة المحشوة بمواد عازلة، والتي كان وما زال يرتديها العسكريون.

وفي هندسة البناء كان المهندسون المسلمون هم أول من صمَّم الأقواس الهندسية التي أخذها عنهم الغرب فيما بعد في علم هندسة البناء. ولولا العلوم الهندسية الإسلامية

لما شاهدنا الكثير من القلاع والقصور المنيفة والأبراج الهائلة في الأصقاع الغربية.

وفي علم الجراحة نجد أن كل الأدوات المستخدمة في الجراحة والتشريح اليوم هي نفسها التي اخترعها العالم الزهراوي في القرن العاشر، والمائتي أداة التي يستعملها الأطباء اليوم هي من تصميم الزهراوي. وهو أول من اكتشف الخيوط المستخدمة في العمليات الجراحية والتي تذوب في الجسم بعد العملية، وكذلك العالم المسلم أبوبكر الرازي الذي أخترع خيوط الجراحة واستخرجها من أمعاء القطط، وهو صاحب كتاب (الحاوي في علم التداوي) والذي أصبح مرجعًا أساسيًا في أوروبا في العصور الوسطى. وقد اكتشف المسلمون الدورة الدموية في القرن الثالث عشر قبل هارفي بثلاثمائة سنة على يد العالم المسلم ابن النفيس. وهم أول من اخترع «البنج» أي المخدرات الطبية التي تعطى للمرضى قبل العمليات، وهم الذين مزجوا الأفيون بالكحول للغرض نفسه.

والمسلمون أيضًا هم أول من اخترع الطاحونة الهوائية لطحن الذرة والري، ولم تعرفها أوروبا إلا بعد خمسمائة عام، وهم أول من اكتشف التلقيح والتطعيم الطبي وليس باستور الفرنسي، وقد أوصلته إلى أوروبا زوجة السفير البريطاني في إسطنبول عام ١٧٢٤م. وقد كان الأتراك يلقِّحون أطفالهم ضد بعض الأمراض المميتة قبل الأوروبيين بأكثر من خمسين عامًا.

حتى على مستوى أقلام الحبر، نجد أن الفضل يعود إلى سلطان مصر الذي طلب تصنيع قلم حبر لا يوسخ الأيدي والملابس فجاء اختراع أقلام الحبر الناشف التي تستخدم على نطاق واسع في كل انحاء العالم الآن.

وفي علم الحساب، نجد أن العالم المسلم الخوارزمي هو واضع علم الجبر، وقد قام العالم الإيطالي فيبوناتشي بنقل العلم الحسابي الإسلامي إلى أوروبا بعد أكثر من ثلاثمائة عام على اكتشافه على يد العلماء المسلمين. والمؤسف أنه ينتشر في الغرب على أنه مكتشفه لا ناقله.

والمسلمون هم أول من وضع علم النسيج والحياكة والسجاد تحديدًا، بينما كانت أرض المنازل في أوروبا من التراب والسطوح البدائية، وقد انتشرت السجاجيد فيما بعد في الغرب انتشار النار في الهشيم.

وكلمة «شيك» الإنجليزية أصلها عربي، فهي مأخوذة عن كلمة «صك» أي التعهد بدفع ثمن البضائع عند تسلمها؛ وذلك تجنبًا لتداول العملة في المناطق الخطرة.

وفي القرن التاسع كان رجال الأعمال المسلمون يأخذون النقد مقابل شيكاتهم في الصين المسحوبة على حساباتهم في بغداد. بعبارة أخرى، فالمسلمون هم من وضع أسس الاقتصاد المالي.

وفي الجغرافيا نجد أن العالم المسلم ابن حزم هو من اكتشف أن الأرض كوكب يدور قبل العالم الغربي غاليلي بخمسمائة عام، وقد كان الفلكيون العرب يحسبون حركة الأفلاك بدقة متناهية، وقدَّم العالم الإسلامي

الإدريسي للملك روجر في صقلية الإيطالية كرة أرضية مرسومًا عليها أقاليم وبلدان العالم في القرن الثاني عشر. والعلماء المسلمون هم أول من استخدم البارود للأغراض العسكرية بإضافة البوتاسيوم له، وهم أول من صنعوا صاروخًا ينفجر في سفن الأعداء عند إصابتها. والمسلمون هم أول من صمَّم الحدائق للتمتع بجمال الطبيعة والاسترخاء، بينما كان الغربيون يستخدمونها فقط لزراعة الأعشاب والخضار للطبخ، وهم أول من زرع الزنبق والفل الذي يزين حدائق أوروبا هذه الأيام.

واكتفي بهذا القدر البسيط، والذي هو غيض من فيض، حتى لا أطيل على القارئ. فكل هؤلاء العلماء المسلمين قدموا هذه الإنجازات والاختراعات والابتكارات سابقين نظرائهم الأوروبيين بمئات السنين حينما كانوا تحت حكم دولة الخلافة الإسلامية التي قدَّمت لهم كل التسهيلات والدعم والحماية والأمن المطلوبة لأي تقدُّم وتطوُّر، بينما حال المسلمين اليوم بعيد جدًا عن القيام بأبسط الإنجازات لأنهم مشغولون بتوفير الأساسيات التي صار الحصول عليها صعبًا تحت حكم دول العمالة، فهل بعد كل هذه الشواهد التاريخية نستنتج أن دولة الخلافة الإسلامية هي دولة ذبح وتنكيل وحرق مثلما يريد أن يصور لنا الغرب ذلك؟ والجواب هو إن دولة الخلافة الإسلامية لم تكن أبدًا كذلك، بل كانت رمزًا للتقدم والتطور والرقي الذي لم يكن له نظير حتى في الدول الغربية آنذاك، والغرب يعرف هذا جيدًا، وأكثر من المسلمين أنفسهم؛ لهذا هو يخشى عودتها من جديد ويعمل كل ما يستطيع ليحول دون عودتها باستخدام كل الأدوات المتاحة له، ولن يستطيع؛ فقد بشَّر الذي لا ينطق عن الهوى بعودتها رغم أنوفهم، فعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تكون النبوَّة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت**». رواه أحمد

نسأل الله عز وجل أن يمنَّ علينا بقيام دولة الخلافة الثانية على منهاج النبوة عاجلًا غير آجل، ويجعلنا من العاملين لإقامتها، ويجعلها دولة عزة وتمكين ومنعة للإسلام والمسلمين، تسترد حقوقهم ومظالمهم وتعيدهم إلى سابق مجدهم، يعيش تحت ظلها المسلم عزيزًا كريمًا والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خاتم النبيين وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين. ■

ترامب ما زال يطمح للعودة إلى الرئاسة

شنَّ الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب هجومًا عنيفًا على سياسات خلَفه جو بايدن الداخلية والخارجية، واعتبر أن الولايات المتحدة تنهار في ظل إدارة بايدن، وقال: «بينما نجتمع هنا اليوم، تتعرض بلادنا للدمار أمام أعيننا. الجريمة آخذة في الازدياد، وإدارات الشرطة ممزَّقة، وتعاني من نقص التمويل». وجدَّد اتهامه للديمقراطيين بتزوير الانتخابات الرئاسية وقال إنه «كان يحاول إنقاذ الديمقراطية". وقال إن إدارته «أوقفت الحروب اللانهائية» في العراق وسوريا والصومال وأفغانستان. وألمح ترامب أيضًا إلى اعتزامه الترشح للانتخابات الرئاسية المقبلة في ٢٠٢٤م قائلًا إنه يتطلع لذلك العام، فيما يقول مستشارون لترامب إنه يبحث إمكانية تنظيم حملة رئاسية أخرى. وطالب ترامب الصين بدفع عشرة تريليونات دولار تعويضات للولايات المتحدة والعالم بسبب الفيروس، وقال إنه ينبغي لدول العالم أن تُلغي ديونها المستحقة لبكين، كما دعا إلى ضرورة أن تفرض بلاده رسوما جمركية بنسبة ١٠٠٪ على جميع البضائع والسلع القادمة من الصين. ووصف ترامب الهجمات السيبرانية التي تتعرض لها بلاده بأنها تعبير عن قلة الاحترام للولايات المتحدة وقادتها» وندَّد بقرار بايدن العودة إلى اتفاق باريس للمناخ، ووصف الخطوة بأنها «تصب في مصلحة الصين وروسيا وتخالف مصلحة الولايات المتحدة، وستكلفها تريليونات الدولارات سنويًا». كما اتهم ترامب بايدن بأنه «سمح» لروسيا باستكمال بناء خط أنابيب الغاز «السيل الشمالي-٢». وقال: «والآن يضحك على بايدن علنًا المفاوضون الصينيون والرئيس الروسي بوتين. إنهم يسخرون منه ويهينون بلدنا».

الوعي: ترامب يعتبر أحد الوجوه التي تثير التوتر والشقاق في السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية، وبسبب وجود شعبية له لا بأس بها ويحتاج إليها الحزب الجمهوري، ولأنه متطرف في مواقفه في الشؤون الداخلية والخارجية وهذا ينسجم مع سياسة الجمهوريين الذين تتحكم فيهم النزعة السلطوية للعالم؛ لذلك فإنه إذا ما استطاع أن يحصل على ترشيح الحزب الجمهوري له. وفي حال نجاحه، فإن ذلك قد يكون الحدث العالمي الأخطر على العالم.

الصين تعتبر الهجوم على حافلة تقلُّ عمالها في باكستان هجومًا.. وترسل محققين

في ٢٠٢١/٠٦/١٧م، دانت الصين «بشدة» انفجار حافلة تقلّ عمّالًا صينيين في شمال غرب باكستان قبل أربعة أيام، وقد أسفر عن ١٢ قتيلًا على الأقل بينهم تسعة صينيين، معتبرةً أنه «اعتداء» وكانت الحافلة تقلّ حوالى أربعين صينيًّا من مهندسين وخبراء مساحة وعاملين في مجال الصيانة الميكانيكية يعملون في مشروع بناء سدّ داسو في إقليم خيبر بختونخوا. وفي وقت تحدَّثت إسلام أباد من جهتها عن «حادث فني» ناجم عن «تسرّب غاز» قال وزير الأمن العام الصيني تشاو كيجي في بيان بعد التحدث مع نظيره الباكستاني إن «الصين وباكستان ستعملان معًا لمعرفة الحقيقة» وأكد أن بكين «أرسلت إلى المكان خبراء تقنيين للمساعدة في التحقيق» ودعا باكستان إلى «سدّ الثغرات» و«تعزيز أمن» المواطنين الصينيين في البلاد. وأكد البيان أن الرئيس الصيني شي جينبينغ «أعطى تعليمات مهمة». ويذكر أن بكين استثمرت مليارات الدولارات في هذا البلد خلال السنوات الأخيرة. ويذكر أنه في أبريل/نيسان، تبنّت حركة طالبان باكستان هجومًا انتحاريًا على فندق فخم في كويتا (غرب)، عاصمة إقليم بلوشستان، كان يمكث فيه السفير الصيني الذي لم يُصب بجروح.

الوعي: يبدو أنه بعد الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، ستتحول المنطقة إلى ساحة صراع جديد مع الصين، كما تخطط لذلك أمريكا.

أمريكا تعرض ١٠ ملايين دولار لمن يكشف عن هوية قراصنة إنترنت

في ٢٠٢١/٠٧/١٥م، أعلن الحساب الرسمي لبرنامج «مكافآت من أجل العدالة»، التابع لوزارة الخارجية الأمريكية، على تويتر، عن مكافأة قدرها ١٠ ملايين دولار لقاء معلومات تكشف هوية قراصنة إنترنت يقومون بعمليات سيبرانية خبيثة لحساب حكومات أجنبية تستهدف البنية التحتية للولايات المتحدة مثل عمليات اختراق أجهزة الكمبيوتر، وهجمات برامج الفدية، مما يشكِّل انتهاكًا للقانون الفيدرالي الأمريكي. هذا وقد طالب قراصنة إنترنت يعتقد أنهم وراء عملية ابتزاز واسعة النطاق استهدفت مئات الشركات في مختلف أنحاء العالم، بفدية قدرها ٧٠ مليون دولار لإعادة بيانات يحتجزونها رهينة. ونشر هذا الطلب على موقع بالشبكة المظلمة على مدونة تستخدمها في العادة عصابة ريفيل المتخصصة في جرائم

الإنترنت، وهي عصابة لها صلات بروسيا ومن أكثر عصابات الإنترنت استخدامًا للابتزاز في العالم.

الوعي: من يتأمل ما يصيب العالم اليوم من تطور علمي غير مضبوط، ومتفلِّت، وعابر للحدود، ويقع تحت سيطرة دول لا قيم عندها، وأفراد هم أقرب للجنون والجنوح منهم إلى العقلانية... يتوقَّع أن تسود العالم أجواء الاستباحة العامة؛ حيث لا حدود تقام، ولا محرمات تصان.

بسبب اضطهاد الصين للإيغور.. مجلس الشيوخ يحظر استيراد منتجات إقليم شينجيانغ

أقرَّ مجلس الشيوخ الأمريكي، في ٢٠٢١/٠٧/١٤م، تشريعًا أعدَّه الحزبان الديمقراطي والجمهوري، وأقرَّه مجلس الشيوخ بالإجماع يحظر استيراد أي منتجات من إقليم شينجيانغ الصيني، في أحدث مساعي واشنطن لمعاقبة بكين على ما تقول إنها إبادة متواصلة ضد الإيغور وجماعات المسلمين الأخرى. وتتهم منظمات حقوقية الصين باحتجاز ما يصل إلى مليون مسلم من الإيغور المسلمين، الذين يقترب إجمالي عددهم من ١١ مليون شخص، بمعسكرات اعتقال في شينجيانغ منذ عام ٢٠١٧م، وتنفي الصين بشكل قاطع هذا الأمر، وتقول إن هذه المعسكرات «مراكز تدريب مهني» تهدف إلى إبعاد السكان عن التطرف الديني والنزعات الانفصالية بعد ارتكاب أفراد من الإيغور العديد من الاعتداءات الدامية ضد مدنيين. وكان بايدن أيّد توقيعًا للرئيس السابق ترامب على تشريع تمَّ تمريره بدعم ساحق من الكونغرس في يونيو/حزيران ٢٠٢٠، يسمح بفرض عقوبات على أي مسؤول صيني يشارك في قمع الإيغور، كما فرض عقوبات على مسؤولين في الحكومة الصينية بسبب «انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان» ضد الأقليات المسلمة في منطقة شينجيانغ.

الوعي: يبدو أن أمريكا انتقلت إلى اتباع سياسة مواجهة الصين وإشغالها بمشاكل داخلية، وذلك لمحاصرتها ولمنعها من التمدد في الخارج والوصول إلى مرحلة التنافس الدولي معها. وهي تريد استغلال المسلمين لإدخالهم معها في حالة العداء لمصلحتها، سواء أكان في أفغانستان أم في تركستان، وإذا فعلت، فالمتوقع من الآن أن تسلِّح الإيغور، وأن تثوِّرهم، وأن تمدَّهم بالسلاح الفتَّاك من أجل استنزاف الصين لا من أجل نصرة المسلمين، وإذا صدق القول فإننا سنرى أن سيناريو أفغانستان ضد روسيا سيتكرَّر مع الصين، وسنرى دول الخليج ستسارع في مدِّ يد

المعاونة للمسلمين الإيغور المضطهَدين لا لنصرة الدين، بل لنصرة أمريكا كما فعلت من قبل في كل من أفغانستان والبوسنة والهرسك وكوسوفو وليس ما حدث في سوريا مؤخرًا عنَّا ببعيد.

دبلوماسي إيطالي: لبنان دولة فاشلة.. متى يتدخل العالم لإنقاذه؟

قال السفير الإيطالي السابق لدى العراق ماركو كارنيلوس، في مقال له على موقع «ميدل إيست آي» إن لبنان أصبح دولة فاشلة بالفعل، وقال إن تعاطي مجموعة السبع، مع أزمة لبنان كان مخيبًا للآمال باستثناء فرنسا. وأشار إلى أن البنك الدولي قال إن الأزمة الاقتصادية في لبنان قد تكون من بين أكبر ٣ أزمات اقتصادية على مستوى العالم منذ منتصف القرن الـ١٩، وعلّق الدبلوماسي الإيطالي بأن هناك مراحل أخرى أسوأ من السقوط، ويبدو أن لبنان يتَّجه نحوها. وحذَّر من العواقب الوخيمة للانهيار التام للدولة في لبنان الذي رأى أنه يصعب التنبُّؤ بتداعياته. كما حذر من أن الانهيار التام للدولة قد ينجم عنه انهيار الجيش اللبناني أيضًا، وذلك سيترك الساحة خالية لحزب الله للسيطرة على البلاد، وقال إن الإخفاق التام للدولة قد يؤدي إلى انقسام الطوائف اللبنانية الرئيسة، وقد يزج بلبنان في أتون حرب أهلية أخرى. ورأى أن انهيار لبنان ستكون له تداعيات يصعب التنبُّؤ بها على جيرانه، بخاصة على (إسرائيل). وقال إن على بعض المستشارين الغربيين والإقليميين ممن يحلمون «بفوضى خلَّاقة» التفكير في كل تلك العواقب المحتملة لانهيار لبنان. ودعا إلى عقد جلسة خاصة لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لمناقشة الأزمة وتبني قرار بشأنه بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة. [أي التدخل العسكري]

الوعي: إلى الديبلوماسي الإيطالي الذي يدعو إلى التدخل الدولي في لبنان لإنقاذه نقول: وهل وصل لبنان إلى ما وصل إليه إلا بهذا التدخل الأجنبي الذي هو سبب كل مشاكله بدءًا من إنشائه، إلى زرع الطائفية فيه، إلى فرض الزعماء على شعبه، إلى إيقاعه في أتون الديون الربوية الخارجية... بل إننا على العكس مما يطلب نقول: إنه يجب على المجتمع الدولي أن يكفَّ يده عن التدخل في شؤون لبنان ودول المنطقة وترك تقرير مصيره لأهله الذين يريدون إعادة لبنان إلى أصله جزءًا من الدولة الإسلامية الجامعة، وإعادة الحكم بما أنزل الله إلى أهله... بذلك وحده ينتهي لبنان والمنطقة من شرور تدخلات المجتمع الدولي.

قال الله تعالى

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِى ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِى ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

يقول تعالى مخبرًا عن قدرته العظيمة أنَّ من تولَّى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلًا، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾[محمد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ﴾[النساء: ١٣٣]، وقال تعالى:﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٩-٢٠] أي : بممتنع ولا صعب. وقال تعالى ها هنا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾أي: يرجع عن الحق إلى الباطل . قال محمد بن كعب: نزلت في الولاة من قريش. وقال الحسن البصري: نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر . ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِى ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه ﷺ رواه ابن أبي حاتم... وقوله تعالى:﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾هذه صفات المؤمنين الكُمَّل، أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليِّه، متعزِّزًا على خصمه وعدوِّه، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾[الفتح : ٢٩] وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم

أنه: **"الضَحوك القتَّال "**فهو ضَحوك لأوليائه قتَّال لأعدائه. وقوله تعالى: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾أي: لا يردُّهم عما هم فيه من طاعة الله، وقتال أعدائه، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردُّهم عن ذلك رادٌّ، ولا يصدُّهم عنه صادٌّ، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل.

وروى الإمام أحمد عن أبي ذر قال: أمرني خليلي ﷺ بسبع، أمرني بحب المساكين والدنوِّ منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرَت، وأمرني أن لا أسأل أحدًا شيئًا، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرًّا، وأمرني ألا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهنَّ من كنز تحت العرش

وروى الإمام أحمد أيضًا عن أبي ذر قال: بايعني رسول الله ﷺ خمسًا وواثقني سبعًا، وأشهد الله عليَّ تسعًا، أني لا أخاف في الله لومة لائم. قال أبو ذر: فدعاني رسول الله ﷺ فقال: "**هل لك إلى بيعة ولك الجنة؟"** قلت: نعم، قال: وبسطتُ يدي، فقال النبي ﷺ وهو يشترط: **على ألا تسأل الناس شيئًا؟** قلت: نعم. قال: **"ولا سوطك وإن سقط منك"** يعني تنزل إليه فتأخذه.

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **"ألا لا يمنعنَّ أحدَكم رهبةُ الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرِّب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكِّر بعظيم".**

وروى أحمد أيضًا عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا يحقرنَّ أحدُكم نفسَه أن يرى أمرًا لله فيه مقال، فلا يقول فيه، فيقال له يوم القيامة: ما منعك أن تكون قلت فيَّ كذا وكذا؟ فيقول: مخافة الناس، فيقول: إياي أحق أن تخاف".**

وروى أحمد وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: **"إن الله ليسأل العبد يوم القيامة، حتى إنه ليسأله يقول له: أي عبدي، رأيت منكرًا فلم تنكره؟ فإذا لقَّن اللهُ عبدًا حجته، قال: أي رب، وثقتُ بك وخفت الناس".** وثبت في الصحيح: **"ما ينبغي لمؤمن أن يُذلَّ نفسَه** "قالوا: وكيف يُذلُّ نفسَه يا رسول الله؟ قال: **"يتحمل من البلاء ما لا يُطيق".**

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ ﴾أي: من اتصف بهذه الصفات، فإنما هو من فضل الله عليه، وتوفيقه له. وقوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾أي: واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك ممن يحرمه إياه .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: ليس اليهود بأوليائكم، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين .

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ أي: المؤمنون المتصفون بهذه الصفات، من إقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام، وهي له وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين. وأما قوله: ﴿وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾فقد توهَّم بعضهم أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله:﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك، لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثرًا عن علي بن أبي طالب: أن هذه الآية نزلت فيه؛ ذلك أنه مرَّ به سائل في حال ركوعه، فأعطاه خاتمه. [ثم روى عدة روايات بنفس المعنى وقال عنها وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها]. وعن السدي: "نزلت هذه الآية في جميع المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب مرَّ به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه". وقال علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس: من أسلم فقد تولَّى اللهَ ورسوله والذين آمنوا. رواه ابن جرير.

وقد تقدم في الأحاديث التي أوردنا أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه، حين تبرَّأ من حلف يهود، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾[المجادلة: ٢١ – ٢٢]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة، ومنصور في الدنيا والآخرة. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

التخفيف على المسلمين فيما شرع لهم (١)

شرع الله الخالق المدبِّر، العليم الخبير، للإنسان ما يصلحه، وكان ما شرعه له رحمة منه، وفيه تخفيف عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ وهذا يعني مما يعنيه أن الشرع هو حصرًا من الله، وأن على المسلم ألا يشقَّ على نفسه فيما شرعه الله له، فيحملها فوق طاقتها، ما يؤدي به إلى هجرها بالكليَّة، وقد جاءت كثير من الأحاديث التي توجه المسلم بهذا الاتجاه حتى تكون عبادته عن رغبة وخشوع وخضوع فتزيده إيمانًا وتسليمًا. ومن هذه الأحاديث:

- عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**مَن مَرَّ في شيءٍ مِن مَسَاجِدِنَا أوْ أسْوَاقِنَا بنَبْلٍ، فَلْيَأْخُذْ علَى نِصَالِهَا، لا يَعْقِرْ بكَفِّهِ مُسْلِمًا**» رواه البخاري.

والنَبلُ: السِّهامُ التي لها رُؤوسٌ حادَّةٌ ومُدبَّبةٌ. والواجب على المسلم أنْ يُمسِكَ ويَحفَظَ أطرافَها الحادَّةَ بيَدِه أو بأيِّ وَسيلةٍ تَحفَظُها، وليَكُنْ حَذِرًا أثناءَ مُرورِه بها؛ لئلَّا يَجْرَحَ بها أحدًا. وفي هذا الحديث بَيانُ كَريمِ خُلُقِه ورَأْفَتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالمؤمنينَ. وفيه التَّعظيمُ لحُرمةِ دَمِ المسلمِ قَليلِه وكَثيرِه. وفيه بَيانُ آدابِ حمْلِ السِّلاحِ، وأنَّ حاملَ السِّلاحِ عليه أنْ يَتحرَّزَ ويُحاذِرَ أنْ يُؤذِيَ به أحدًا.

- وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**إذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ؛ فإنَّ منهمُ الضَّعِيفَ والسَّقِيمَ والكَبِيرَ، وإذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ ما شَاءَ**» رواه البخاري.

كان النبيُّ ﷺ نِعْمَ الـمُعلِّمُ والـمُرَبِّي لِأصحابِه وأُمَّتِه مِن بَعدِه، وكان يَختارُ لِلناسِ ما يُصلِحُهم في أنفُسِهم، وما يُصلِحُ غَيرَهم مِن أُمورِ الدِّينِ والدُّنيا. فقوله: ﷺ «فلْيُخَفِّفْ» يَعني في القِراءةِ والرُّكوعِ والسُّجودِ، مع المحافظة على صحة الصلاة. وعِلَّةُ الأمْرِ بالتَّخفيفِ أنَّ منهمُ الضَّعيفَ في بَدَنِه، والسَّقيمَ، والكَبيرَ في السِّنِّ، وصاحبَ الحاجةِ وغَيرَهم مِن أهلِ الأعذارِ، وهؤلاء لا يَتحَمَّلونَ التَّطويلَ... أما قوله ﷺ «**وإذا صَلَّى أحَدُكم مُنفرِدًا فلْيُطَوِّلْ ما شاءَ**» فليفتح أمامه باب الاجتهاد في العبادة، أو في أي أمر من أمور الطاعة؛ لِأنَّه يَعرِفُ طاقةَ نَفْسِه...

- **عن عائشة رضي الله عنها إنْ كانَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَيَدَعُ العَمَلَ وهو يُحِبُّ أنْ يَعْمَلَ به؛ خَشْيَةَ أنْ يَعْمَلَ به النَّاسُ، فيُفْرَضَ عليهم، وما سَبَّحَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ**

سُبْحَةَ الضُّحَى قطُّ، وإنِّي لَأُسَبِّحُهَا». رواه البخاري.

إن قولها رضي الله عنها إنَّ النبيَّ ﷺ كان يدَعُ العمَلَ ويَترُكُه؛ خَشيةَ أنْ يَعمَلَ به النَّاسُ، يعني أنه ﷺ يَترُكُ إظهارَ العملِ حتَّى لا يُتابِعَه الـمُسلِمون فيُفرَضَ عليهم، فيَشُقَّ عليهم، ولا يَقدِروا عليه، وقد جاء في الحديثِ الـمُتَّفَقِ عليه مِن حَديثِ عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها قالت: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «**أحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالَى، أدْوَمُها وإنْ قَلَّ**». ويَحتمِلُ أنْ يكونَ معْنى قَولِها: «فيُفْرَضَ عليهم»، فيَعمَلَه الناسُ مُعتقدين أنَّه مَفروضٌ عليهم. ومعنى قولها رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ «لم يُسبِّحْ سُبْحةَ الضُّحى قطُّ»، والسُّبحةُ هي صَلاةُ النافلةِ، والمعنى: أنَّه لم يُصَلِّ صَلاةَ الضُّحى قطُّ. ثُمَّ أخبرتْ رَضيَ اللهُ عنها: أنَّها مع ذلِك تُسَبِّحُها، أي: تفْعَلُها، فكانتْ تُصلِّيها وتُحافِظُ عليها، ولعلَّها سمِعتْ مِن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الحثَّ عليها، وأنَّه إنَّما ترَكَ المداومةَ عليها خَشيةَ أنْ تُظَنَّ أنَّها واجِبةٌ. أما نَفْيُها لصَلاتِه ﷺ الضُّحى بمعْنى: ما كان يُداوِمُ عليها، فيكونُ نَفْيًا للمُداوَمةِ عليها لا لأصْلِ فِعلِها، وقد روَى مُسلمٌ عنها أنَّها قالت: «كان رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُصلِّي الضُّحى أرْبعًا، ويَزيدُ ما شاء اللهُ». كذلك فقد أَوصَى النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أبا هُريرةَ رضي الله عنه بصَلاتِها كما في الصَّحيحَينِ، وأَوصَى أبا الدَّرداءِ بصَلاتِها أيضًا كما في صَحيحِ مُسلمٍ... وفي الحديثِ كَمالُ شَفَقتِه ورَحمتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بأُمَّتِه.

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: نهاهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمةً لهم، فقالوا: إنك تُواصِلُ؟ قال: «إني لستُ كهيئتكم؛ إني أَبِيتُ يطعمني ربي ويسقينى» متفق عليه. معناه يجعل فيَّ قوةَ مَن أكل وشرب.

والوصال يعني أن يصل الإنسانُ يومين فأكثرَ في الصيام من غير فِطرٍ، يعني يصوم الليل والنهار يومين أو ثلاثة أو أكثر، فنهاهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وبيَّن لهم أنه ﷺ ليس كأفراد الأُمَّة، بل هو يَبيتُ عند ربِّه يُطعمه ويَسقيه، ومعنى ذلك أنه عليه الصلاة والسلام يتهجَّد بالليل، ويخلو بالله عزَّ وجلَّ بذكره، وقراءة كلامه، وغير ذلك مما يُغنيهِ عن الأكل والشرب؛ لأن الإنسان إذا اشتغل بالشيء نَسِيَ الأكل والشرب، خصوصًا إذا كان الشيء مما يُحِبُّه ويرضاه؛ وذلك مثل طالب العلم الذي يكون منهومًا بالعلم شغوفًا به، ربما يبقى في مكتبته يطالع من الصباح إلى المساء، فينسى الأكل والشرب، ينسى الغداء والعَشاء، وربما ينسى النوم، وكذلك طالب الدنيا منهومٌ لا يشبع، ربما يبقى في دفاتره وحساباته فينشغل عن الأكل والشرب. فالإنسان إذا انشغل بالشيء المحبوب إليه، أنساه كلَّ شيء؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**إني أَبيتُ عند ربي يطعمني ويسقيني**».

بسم الله الرحمن الرحيم

مقتطفات من سيرة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)

إنها سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وخليفة من خلفائها الأماجد، فكيف كان ينظر إليه علماء الأمة؟ قال الذهبي، رحمه الله: « الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد السيد، أمير المؤمنين حقًّا، أبو حفص القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الراشد، أشج بني أمية» سير أعلام النبلاء.

وعنه قال الصحابي الجليل المعمَّر أنس بن مالك ﷺ: «ما رأيت أحدًا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى».

قال الإمام أحمد بن حنبل: لا أرى قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز، بويع له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك عن عهد منه له بذلك، ويقال مولده في سنة إحدى وستين، وهي السنة التي قُتل فيها الحسين بن علي بمصر، قاله غير واحد، وقال محمد بن سعد: ولد سنة ثلاث وستين. وأمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وقد عدَّ بعض أهل العلم عمر بن عبدالعزيز رحمه الله من مجددي هذا الدين، فروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**». صححه السخاوي في المقاصد الحسنة.

قال ابن كثير رحمه الله: «فقال جماعة من أهل العلم - منهم أحمد ابن حنبل فيما ذكره ابن الجوزي وغيره: إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك، وأحق لإمامته وعموم ولايته واجتهاده وقيامه في تنفيذ الحق، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب، وكان كثيرًا ما يتشبه به» البداية والنهاية.

قال الزبير بن بكار، حدثني العتبي قال: إن أول ما استبين من عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم، ورغبته في الأدب، قال: إن أباه ولي مصر وهو حديث السن، يُشك في بلوغه، فأراد إخراجه معه، فقال: يا أبه! أَوَ غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك؟ ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهاء أهلها، وأتأدَّب بآدابهم، فوجَّهه إلى المدينة، فقعد مع مشايخ قريش، وتجنَّب شبابهم، وما

زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فخلطه بولده، وقدمه على كثير منهم، وزوَّجه بابنته فاطمة، وهي التي يقول فيها الشاعر:

بِنْتُ الخَلِيفَةِ وَالخَلِيفَةُ جَدُّهَا أُخْتُ الخَلَائِفِ وَالخلِيفَةُ زَوْجُهَا

قال: ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها.

وقال ابن وهب: حدثني الليث عن أبي النضر المديني، قال: لقيت سليمان بن يسار خارجًا من عند عمر بن عبد العزيز، فقلت له: من عند عمر خرجت؟ قال: نعم، قلت: تعلِّمونه؟ قال: نعم، فقلت: هو والله أعلمكم، وقال ميمون بن مهران: كانت العلماء عند عمر بن عبدالعزيز تلامذة.

وقال عبد الله بن كثير: قلت لعمر بن عبد العزيز: ما كان بدء إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لي، فقال لي: اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة. وقد ظهرت عليه مخايل الورع، والدين، والتقشُّف، والصيانة، والنزاهة من أول حركة بدت منه؛ حيث أعرض عن ركوب مراكب الخلافة، وهي الخيول الحسان الجياد المعدَّة لها، والاجتزاء بمركوبه الذي كان يركبه، وأمر أن تُجعل أثمانها في بيت المال بعد بيعها. وقد رد جميع المظالم حتى إنه رد فصَّ خاتم كان في يده وقال: أعطانيه الوليد من غير حقه، وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم في الملبس والمأكل والمتاع، حتى إنه ترك التمتع بزوجته الحسناء فاطمة بنت عبدالملك، ويقال: كانت من أحسن النساء، ويقال: إنه رد جهازها وما كان من أموالها إلى بيت المال، وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلي الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله حتى لم يبقَ له دخل سوى أربعمائة دينار في كل سنة، وكان حاصله في خلافته ثلاث مائة درهم.

وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الرفيع اللين جدًّا، فيقول: ما أحسنَه لولا خشونة فيه!، فلما ولي الخلافة كان بعد ذلك يلبس الغليظ المرقوع ولا يغسله حتى يتسخ جدًّا، ويقول: ما أحسنه لولا لينه!. وكان سراجه على ثلاث قصبات في رأسهن طين. ولم يبنِ شيئًا في أيام خلافته، وكان يخدم نفسه بنفسه، وقال: ما تركت شيئًا من الدنيا إلا عوَّضني الله ما هو خير منه، وكان يأكل الغليظ من الطعام أيضًا ولا يُبالي بشيء من النعيم، ولا يُتبعه نفسه ولا يودُّه، حتى قال أبو سليمان الداراني: كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني؛ لأن عمر ملك الدنيا بحذافيرها وزهد فيها، ولا ندري حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون، ليس من جرَّب كمن لا يجرِّب.

ولما بايعه الناس، واستقرَّت الخلافة باسمه، انقلب وهو مغتمٌّ مهموم، فقال له مولاه: ما لك هكذا مغتمًّا مهمومًا، وليس هذا بوقت هذا؟ فقال: ويحك، وما لي لا أغتمُّ وليس أحد من أهل

المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقِّه أن أؤدِّيَه إليه، كتب إليَّ في ذلك أو لم يكتب، طلبه مني أو لم يطلب. ثم إنه خيَّر امرأته فاطمة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها، وبين أن تلحق بأهلها، فبكت وبكى جواريها لبكائها، فسمعت ضجة في داره، ثم اختارت مقامها معه على كل حال، رحمها الله.

ثم أخذ أموال جماعة من بني أمية فردَّها إلى بيت المال وسمَّاها أموال المظالم، فاستشفعوا إليه بالناس، وتوسَّلوا إليه بعمَّته فاطمة بنت مروان، فلم ينجع فيه، ولم يردَّه عن الحق شيء، وقال لهم: واللهِ لتدعني وإلا ذهبت إلى مكة فنزلت عن هذا الأمر لأحقِّ الناس به.

وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر، قال: لما استُخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام، وإني لست بقاضٍ، ولكني منفذ، وإني لست بمبتدِع، إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، ألا إن الإمام الظالم هو العاصي، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وفي رواية: وإني لست بخير من أحد منكم، ولكني أثقلكم حِملًا، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا هل أسمعت؟

وقد اجتهد، رحمه الله، في مدة ولايته - مع قصرها - حتى ردَّ المظالم، وصرف إلى كل ذي حقٍّ حقه، وكان مناديه في كل يوم ينادي: أين الغارِمون؟ أين الناكِحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلًّا من هؤلاء.

قالت زوجته فاطمة: دخلت يومًا عليه وهو جالس في مصلاه واضعًا يده على خدِّه ودموعه تسيل على خديه، فقلت: ما لك؟ فقال: ويحك يا فاطمة، إني قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب، والأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم، فخشيت أن لا تثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي، فبكيت.

وقال مالك بن دينار رحمه الله: يقولون: مالك زاهد، أي زهد عندي، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها، وقالوا: ولم يكن له سوى قميص واحد، فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى ييبس، وقد وقف مرة على راهب فقال له: ويحك، عظني، فقال له: عليك بقول الشاعر:

تَجَرَّدْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ

قالوا: فكان يعجبه ويكرره، وعمل به حق العمل.

قالوا: ودخل على امرأته يومًا فسألها أن تقرضه درهمًا أو فلوسًا يشتري له بها عنبًا، فلم يجد عندها شيئًا، قالت له: أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتك ما تشتري به عنبًا؟ فقال: هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غدًا في نار جهنم. وكان له سراج يكتب عليه حوائجه، وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين، لا يكتب على ضوئه لنفسه حرفًا.

قال مقاتل بن حيان: صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقرأ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤] فجعل يكررها وما يستطيع أن يجاوزها. وقالت امرأته فاطمة: ما رأيت أحدًا أكثر صلاة وصيامًا منه، ولا أحد أشد خوفًا من ربه منه، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه، قالت: ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء، ويجلس يبكي، فأطرح عليه اللحاف رحمة له، وأنا أقول: يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين، فوالله ما رأينا سرورًا منذ دخلنا فيها.

ومن أقواله العظيمة رحمه الله: **اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد ﷺ، وأهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد ﷺ**. وقال: أفضل العبادة أداء الفرائض، واجتناب المحارم، وقال: لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يحكم أمر نفسه لذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقلَّ الواعظون والساعون بالنصيحة. وقال أيضًا: لقد بورك لعبد في حاجة أكثرَ فيها من الدعاء أُعطي أو مُنع. [البداية والنهاية]

قال الذهبي رحمه الله: «كان هذا الرجل حسن الخَلق والخُلُق، كامل العقل، حسن السمت، جيد السياسة، حريصًا على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، ظاهر الذكاء والفهم، أوَّاهًا منيبًا، قانتًا لله حنيفًا زاهدًا مع الخلافة، ناطقًا بالحق مع قلَّة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملُّوه وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أُعطياتهم، وأخذه كثيرًا مما في أيديهم مما أخذوه بغير حق، فما زالوا به حتى سقَوه السُّم، فحصلت له الشهادة والسعادة، وعُد عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين، والعلماء العاملين» سير أعلام النبوة.

قال ابن كثير، رحمه الله: «وسبب وفاته، قيل سببها السل، وقيل سببها أن مولى له سمَّه في طعام أو شراب، وأُعطي على ذلك ألف دينار، فحصل له بسبب ذلك مرض، فأُخبر أنه مسموم، فقال: لقد علمت يوم سُقيت السُّم، ثم استدعى مولاه الذي سقاه، فقال له: ويحك، ما حملك على

ما صنعت؟ فقال: ألف دينار أُعطيتُها، فقال: هاتِها، فأحضرها فوضعها في بيت المال، ثم قال له: اذهب حيث لا يراك أحد فتهلك».

ثم قيل لعمر: تدارك نفسك، فقال: والله لو أن شفائي أن أمسح شحمة أذني، أو أُوتى بطيب فأشمه ما فعلت، فقيل له: هؤلاء بَنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصي لهم بشيء، فإنهم فقراء؟ فقال: ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٦]، والله لا أعطيهم حق أحدٍ، وهم بين رجُلين: إما صالح، فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه - وفي رواية: فلا أبالي في أي وادٍ هلك، وفي رواية: أفأدع له ما يستعين به على معصية الله، فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت؟ ما كنت لأفعل - ثم استدعى بأولاده فودَّعهم وعزَّاهم بهذا، وأوصاهم بهذا الكلام، ثم قال: انصرفوا عصمكم الله، وأحسن الخلافة عليكم. قال: فلقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرسًا في سبيل الله، وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك - مع كثرة ما ترك لهم من الأموال - يتعاطى ويسأل من أولاد عمر ابن عبد العزيز؛ لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل، وسليمان وغيره إنما يكلون أولادهم إلى ما يدعون لهم من الأموال الفانية، فيضيعون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم.

ولما احتضر قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: إلهي، أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت - ثلاثًا - ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحدَّ النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظرًا شديدًا يا أمير المؤمنين، فقال: إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جان، ثم قُبض من ساعته، وفي رواية أنه قال لأهله: اخرجوا عني، فخرجوا، وجلس على الباب مسْلَمةُ بن عبد الملك، وأخته فاطمة، فسمعوه يقول: مرحبًا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان، ثم قرأ: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص: ٨٣]، ثم هدأ الصوت، فدخلوا عليه فوجدوه قد غُمِّض، وسُوِّيَ إلى القبلة، وقُبض».

وكانت وفاته سنة إحدى ومئة، بدير سمعان من قرى حمص في الشام، وكانت مدة مرضه عشرين يومًا. وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، وكان عمره حينذاك تسعًا وثلاثين سنة ونصفًا».

رحم الله عمر بن عبدالعزيز، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا. ■

تميم الداري رضي الله عنه

هو تميم بن أوس بن خارجة، ينسب إلى الدار وهو بطن من لخم، يُكنّى أبا رقية بابنة له تُسمَّى رقية لم يولد له غيرها. وُلِد رضي الله عنه بفلسطين وكان راهبها وعابدها، ثم قدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ليسلم، فقد كان نصرانيًّا، وكان إسلامه في سنة تسع من الهجرة، وقد صحب تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا معه وروى عنه، وكان يسكن المدينة ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

ومن أهم ملامح شخصية تميم الداري كثرة العبادة؛ حيث كان ممن اشتهروا بكثرة العبادة وقيام الليل وتلاوة القرآن. عن مسروق قال: قال رجل من أهل مكة: هذا مقام تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرُبَ أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١]. وفي شعب الإيمان أن تميمًا الداري كان يختم القرآن في كل سبع. وعن صفوان بن سليم قال: قام تميم الداري في المسجد بعد أن صلى العشاء فمر بهذه الاية: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح.

وعن ورع تميم الداري، فقد ورد عنه أنه قال في هذه الآية ﴿أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المائدة: ١٠٦]: برئ منها الناس غيري وغير عدي بن بداء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني هاشم يقال له: بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو عظم تجارته، فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله. قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بداء، فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه، فقلنا: ما ترك غير هذا، وما دفع إلينا غيره، قال تميم: فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأثَّمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت إليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم

البينة، فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يقطع به على أهل دينه فحلف فأنزل الله: ﴿أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [المائدة: ١٠٦] إلى قوله: ﴿ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ ﴾ [المائدة: ١٠٨]، فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدي بن بداء.

واشتهر عن تميم الداري كثرة مقترحاته على النبي ﷺ، فعن ابن عمر: أن النبي ﷺ لما بدن قال له تميم الداري: ألا أتخذ لك منبرًا يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك؟ قال: «**بلى**». فاتخذ له منبرًا. وكان رضي الله عنه أيضًا صاحب اقتراح إضاءة المسجد بالقنديل والزيت، وكانوا لا يسرجون قبل ذلك إلا بسعف النخل. فعن أبي هريرة ﷺ قال: أول من أسرج في المسجد تميم الداري. فقد بعث ﷺ سراجًا، وهو مولى تميم الداري، في خمسة غلمان له وأسرج في مسجد النبي ﷺبالقنديل والزيت، وكانوا لا يسرجون قبل ذلك إلا بسعف النخل، فقال رسول الله ﷺ: «**من أسرج مسجدنا**». فقال تميم الداري: غلامي هذا، فقال: «**ما اسمه؟**». فقال: فتح، فقال النبي ﷺ: «**بل اسمه سراج**». قال: فسمَّاني رسول الله ﷺ سراجًا.

وعن مواقفه مع الرسول ﷺ، قال عكرمة لـمَّا أسلم تميم قال: يا رسول الله، إنَّ الله مُظْهِرك على الأرض كلِّها، فهب لي قريتي من بيت لحم. قال: هي لك، وكتب له بها. قال: فجاء تميم بالكتاب إلى عمر، فقال: أنا شاهد ذلك فأمضاه. وعن زيد بن عامر قال: قدمت على النبي ﷺ فأسلمت. فقال النبي ﷺ لتميم الداري: «**سلني**». فسأله بيت عينون ومسجد إبراهيم فأعطاهنَّ إياه، وقال النبي ﷺ: «**يا زيد سلني**». قلت: أسألك الأمن والإيمان لي ولولدي، فأعطاني ذلك.

أما عن حديث النبي ﷺ عن تميم الداري، فعن فاطمة بنت قيس، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم مسرعًا فصعد المنبر ونودي في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس، فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَمْ أَدْعُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ؛ وَلَكِنَّ تَمِيمَ الدَّارِيَّ أَخْبَرَنِي أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ فِلَسْطِينَ رَكِبُوا الْبَحْرَ فَقَذَفَ بِهِمُ الرِّيحُ إِلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، فَإِذَا هُمْ بِدَابَّةٍ أَشْعَرَ لَا يدري ذَكَرٌ هُوَ أَوْ أُنْثَى لِكَثْرَةِ شَعْرِهِ، فقالوا: مَنْ أَنْتَ. فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. فَقَالُوا: فَأَخْبِرِينَا. فَقَالَتْ: مَا أَنَا بِمُخْبِرَتِكُمْ وَلَا مُسْتَخْبِرَتِكُمْ؛ وَلَكِنْ فِي هَذَا الدَّيْرِ رَجُلٌ فَقِيرٌ إِلَى أَنْ يُخْبِرَكُمْ وَإِلَى أَنْ يَسْتَخْبِرَكُمْ. فَدَخَلُوا الدَّيْرَ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ أَعْوَرُ مُصَفَّدٌ فِي الْحَدِيدِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْعَرَبُ. فَقَالَ: هَلْ بُعِثَ فِيكُمُ النَّبِيُّ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلِ اتَّبَعَهُ الْعَرَبُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ. قَالَ: فَمَا فَعَلَتْ فَارِسُ هَلْ ظَهَرَ عَلَيْهَا؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَمَا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْهَا. ثُمَّ قَالَ: مَا فَعَلَتْ عَيْنُ زَغَر؟ قَالُوا: هِيَ تَدفق مَلْأَى. قَال: فَمَا فَعَلَ نَخْلَ بِيسَانِ هَل أطعم؟ قَالُوا: نَعَمْ أَوَائِلُهُ. قَالَ: فَوَثَبَ وَثْبَةً حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَفْلِتُ، فَقُلْنَا: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا الدَّجَّالُ، أَمَا أَنِّي سَأَطَأُ الْأَرْضَ كُلَّهَا غَيْرَ مَكَّةَ وَطِيبَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَبْشِرُوا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ طِيبَةُ لَا يَدْخُلُهَا».

ومن مواقف تميم الداري مع الصحابة موقفه مع سيدنا عمر رضي الله عنه، فعن حميد بن عبد الرحمن أن تميمًا استأذن عمر في القصص سنين ويأبى عليه، فلما أكثر عليه قال: ما تقول؟ قال: أقرأ عليهم القرآن وآمرهم بالخير وأنهاهم عن الشر. قال عمر: ذاك الربح، ثم قال: عظ قبل أن أخرج للجمعة، فكان يفعل ذلك، فلما كان عثمان استزاده فزاده يومًا.

ومن مواقفه مع التابعين فعن محمد بن عقبة القاضي عن أبيه عن جده قال: أتينا تميمًا الداري وهو يعالج عليق فرسه بيده فقلنا له: يا أبا رقية، أما لك من يكفيك؟ قال: بلى، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ارتبط فرسًا في سبيل الله يعالج عليقه بيده كان له بكل حبة حسنة»

وعمَّا رواه عن النبي ﷺ، فقد روى مسلم بسنده عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين**»

وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن أكملها كُتبتْ له نافلة فإن لم يكن أكملها قال الله سبحانه لملائكته: انظروا هل تجدون لعبدي مِن تطوُّع فأكملوا بها ما ضيَّع من فريضته، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك**».

وعنه رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام وذلًّا يذل الله به الكفر**» وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذل والصغار والجزية.

هذا وقد روى عنه أربعة عشر من الصحابة والتابعين منهم: عبد الله بن عباس، وقبيصة بن ذؤيب، وعطاء بن يزيد وغيرهم. وروى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد.

ومن أقوال تميم الداري، رضي الله عنه، فعن يزيد بن عبد الله قال: قال رجل لتميم الداري: ما صلاتك بالليل؟ فغضب غضبًا شديدًا ثم قال: «واللهِ لركعة أصليها في جوف الليل في سر أحب إلي من أن أصلي الليل كله ثم أقصه على الناس». فغضب الرجل فقال: الله أعلم بكم يا أصحاب رسول الله ﷺ إن سألناكم عنَّفتمونا، وإن نسألكم حفيتمونا، فأقبل عليه تميم، فقال: أرأيتك لو كنتَ مؤمنًا قويًّا وأنا مؤمن ضعيف، سأعطيك أنا على ما أعطاك الله، ولكن خذ من دينك لنفسك، ومن نفسك لدينك حتى تستقيم على عبادة تطيقها.

وعن وفاته، فقد توفي رضي الله عنه وأرضاه سنة أربعين من الهجرة. ■

السعودية تسمح بفتح المحلات التجارية أوقات الصلاة

في إطار ما بات يعرف باتباع نهج «أكثر اعتدالًا» وتحديث المملكة، أمر وليُّ العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، الحاكم الفعلي في البلد، مؤخرًا بالسماح للمتاجر والمحالِّ أن تظلَّ مفتوحة في أوقات الصلوات الخمس، تخفيفًا للقواعد الصارمة التي تُلزمها بإيقاف العمل في تلك الأوقات. وقالت عكاظ نقلًا عن منشور صادر من اتحاد الغرف السعودية «تفاديًا لمظاهر الازدحام والتجمع والانتظار لوقت طويل والعمل بالتدابير الوقائية من فيروس كورونا، وللحفاظ على صحة المتسوِّقين نهيب بأصحاب المحلات والأنشطة التجارية باستمرار فتح المحلَّات خلال أوقات الصلوات" وكان وليُّ العهد قد قلَّص دور هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسمح بإقامة حفلات موسيقية وغنائية عامة ورفع الحظر على السينما والسماح للمرأة بقيادة السيارة. وكان قبلها بأيام قد خفَّض صوت الأذان إلى الثلث بالمكبرات بدعوى أنها كانت هناك شكاوى من الجيران والآباء بشأن الضوضاء. كما حظر التعميم الصادر عن وزارة الشؤون الإسلامية ممارسة بث الصلوات والخطب عبر مكبرات الصوت. وذكرت صحيفة التايمز أنه فور صدور الأمر بدأت المؤسسة الدينية بالترويج لوجهة النظر الجديدة وتخريجها فقهيًّا وشرعيًّا؛ إذ قال وزير الشؤون الإسلامية، عبد اللطيف الشيخ، في مقابلة مع التلفزيون الرسمي: «أولئك الذين يريدون الصلاة لا يحتاجون إلى انتظار صوت الإمام، يجب أن يكونوا في المسجد مسبقًا». وقال: «إن هناك عائلات تشتكي من أنَّ تزاحم أصوات المكبرات يُبقي أطفالها مستيقظين» مضيفًا «أن هناك أيضًا عدة قنوات تلفزيونية تبثُّ الصلوات. وفي إشارة إلى وجود تململ وامتعاض من مثل هذه القرارات، ردَّ بعض السكان المحافظين في المملكة على قيود مكبِّرات الصوت، مطالبين بفرض حظر مماثل على الموسيقى الصاخبة القادمة من المطاعم والمقاهي، وقال آخرون إنهم افتقدوا السكينة التي كانت تغمرهم بسبب صوت الصلاة... هذا وعلقت التايمز على ذلك بالقول إنها علامة أخرى على فقدان المؤسسة الدينية للسلطة في عهد ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، وقالت هذه في حد ذاتها علامة أخرى على تغيُّر العصر.

الوعي: واضح في مثل هذا الخبر أن محمد بن سلمان يسعى لإرضاء الغرب بالانفتاح على مفاهيمه الفاسدة، وواضح أن الغرب يتابعه ويشجِّعه بمنحه علامات الثناء والإطراء... ونحن نقول: وهذه علامة أخرى من علامات سقوط النظام السعودي، وهذا لا تحسبوه شرًا للمسلمين، بل هو خير لهم. وإننا كما نرى سقوطهم نرى معه سقوط طبقة علمائهم التي زيَّنت باطل آل سعود تحت حجة داحضة، وهي وجوب طاعة وليِّ الأمر بشكل مطلق، وكأنَّ الله قد عصمهم.■

كيف استخدمت وكالة الأمن القومي الأمريكية الدانمارك للتجسس على القادة الأوروبيين؟

لقد تم الكشف عن مساعدة قدمها عناصر المخابرات الدانماركيون إلى وكالة الأمن القومي الأمريكية لمراقبة القادة الأوروبيين والتجسس عليهم. فقد عملت الدانمارك كقاعدة خلفية لعملاء **وكالة الأمن القومي الأمريكية** للتجسس على **المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل** وسياسيين ألمان آخرين، إضافة إلى شخصيات فرنسية ونرويجية وسويدية بين عامي ٢٠١٢م و٢٠١٤م على الأقل. هذا ما كشف عنه تحقيق للتلفزيون الدانماركي العام، وشارك في إعداده العديد من وسائل الإعلام الأوروبية بما في ذلك صحيفة لوموند الفرنسية. هذا التحقيق استند أيضًا إلى تقرير داخلي في جهاز المخابرات الدانماركي في عام ٢٠١٣م بعد فضيحة سنودن لمعرفة إلى أي مدى تنتشر وسائل التنصت الأمريكية على التراب الوطني. وقال فليمنغ سبليدسبول هانسن، أخصائي الأمن الدولي في المعهد الدانماركي للعلاقات الدولية: فقد وقع بالفعل جهاز المخابرات الدانماركي في ورطة منذ ربيع عام ٢٠٢٠ بعد الكشف عن سماحه لوكالة الأمن القومي بالتنصُّت على شخصيات من المجموعات الصناعية الدانماركية الكبيرة. وتؤكد المجلة الأسبوعية الدانماركية ويكيندافيز: «لقد أصبحت الدانمارك نوعًا ما وبحكم الواقع عضوًا غير رسمي في «نادي العيون الخمس» (تجمع استخبارات الدول الخمس الرئيسة الناطقة بالإنكليزية)». وعملية التجسس هذه تمت عبر زرع أجهزة على كابلات الدول البحرية التي تمر في مياهها الإقليمية. وتنتهج الدانمارك سياسة دعم واشنطن عسكريًا، وكما يوضح فليمنغ سبليدسبول هانسن: «لقد قاتلنا إلى جانب الأمريكيين في ليبيا وسوريا وحتى في أفغانستان. ويمكننا القول إننا دولة في حالة حرب منذ ما يقرب من ٣٠ عامًا، ولا نزال مستمرين في ذلك». وهي أيضًا وسيلة لكوبنهاغن «للحصول على رصيد سياسي في واشنطن لم تكن لتحصل عليه لولا ذلك التعاون» ولكنه سيؤثر سلبًا في صورة البلد أمام العالم». ومن المؤكد أن هذا سينعكس على العلاقات بين الدانمارك والدول الأخرى في الاتحاد الأوروبي» وما يهم القادة هو الأثر الذي ستتركه هذه القضية في الرأي العام الوطني، إذا ما استمر الكشف عن معلومات جديدة.

الوعي: هذه هي الدانمارك (المتحضِّرة) التي يتكشَّف دورها التجسسي القذر حتى على شركائها في الاتحاد الأوروبي العالمي لحساب الاستخبارات الأمريكية، ويتكشَّف عداءها للمسلمين، وإعلانها أنها في حرب مع أمريكا ضدهم... ■